

سلسلة

المغامرين الأذكياء



مروض الحيات

دار النفائس



١٨



المغامرون الأذكياء

مُروّض الحيّات

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير واشراف
نعيم زرزور

دار النفائس



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب. ١٤/٥١٥٢
فاكس: ٨٦١٣٦٧ - هاتف: ٨٠٣١٥٢
أو ٨١٠١٩٤ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
الطبعة الثالثة: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

هدية غير متوقعة

انتهى الجميع من تناول طعام الغداء ، وتركوا المائدة متوجهين إلى صالة العائلة لتناول القهوة . . . وبعد برهة رشفت السيدة سعاد شيئاً من فنجانها والتفتت ناحية زوجها ، المفتش جميل ، وسألته :

ـ جميل . . . لقد بدأ الاستعداد للاحتفال بشم النسيم (احتفال بحلول فصل الربيع) ألن نذهب هذا العام ، كما تعودنا في كل مناسبة ؟ . . .

وضع المفتش جميل الصحيفة ، التي كان يطالعها ، جانباً ، والتفت ناحية زوجته ، وأجاب :

ـ سنذهب ، دون شك ، وقد يكون موعد زيارتنا غداً . . .

نظر الجميع ناحية المفتش ، فيما بدت الفرحة على وجوههم ، وعبر كل منهم عن فرحته بطريقته الخاصة ، ولكنهم اشتركوا في ترك وسائل التسلية التي كانوا يمارسونها بعد تناول الغداء . . . فقد كانوا تواقين جميعاً للقيام برحلة . . . أي رحلة . . . خصوصاً بعد مرور عدة أسابيع من العمل المدرسي الجاد . . . فقد مرت الأسابيع في أعمال رتيبة ، اشتاقوا بعدها إلى نوع من كسر هذا « الروتين » وأخذ قسط من الراحة . . . انتهز خالد الفرصة وقال :

ـ وبعد الزيارة نقوم بزيارة جدي . . . أليس كذلك يا ماما ؟ . . .

كانت علامات الفرح ترتسم على وجه الأم الرؤوم ، وهي تشاهد آثار الفرحة على وجوه الأولاد . . . وأخيراً ، استقر بصرها ناحية خالد لتجيبه بقولها :

ـ ستكون مفاجأة سارة بالنسبة له . . .

كان المفتش يتابع الحوار ، فقال مشاركاً :

ـ وكذلك بالنسبة لي . . . ؟

نظروا إليه باستغراب ، إلَّا أن السيدة سعاد قالت :

ـ مفاجأة لك ؟ . . . كيف ؟ . . .

ارتسمت على وجه المفتش جميل ابتسامة محببة ، وقال :

ـ يبدو أنك نسيت دعوته السابقة لنا للقيام بزيارته . . . تلك الدعوة التي حالت الظروف ، في حينها ، دون تلبيتها . . .

كان الجميع يتابعون الحديث الدائر ، على مسامعهم ، بين السيدة سعاد وزوجها المفتش جميل ، فلما انتهى الحوار قال خالد بثقة :

ـ كن مطمئناً يا بابا . . . سأتولى أنا شرح الموقف لجدي . . .

لم يكمل خالد حديثه ، فقد قاطعه وليد ليقول مازحاً :

ـ نعم ! . . . ماذا يريد أن يقول محامي الدفاع ؟؟ . . .

ولكن ليلى أبت أن تبقى بعيدة عن هذا الموضوع ، فقالت بأدبها المعهود :

ـ لا يا خالد . . . أنا من سيتحدث إلى جدي . . . فأنا أعرف مقدار

محبته لنا جميعاً ، وخصوصاً أنا . . . أحس أنه . . . . .

لم يدعها وليد تنهي عبارتها ، فانفجر ضاحكاً وارتمى إلى الخلف ، وهو يشير بكلتا يديه ناحية ليلى ويقول بصوت غير مفهوم . . .

ـ كنا بواحد . . . فأصبحنا بإثنين . . . اسمعوا . . .

وقبل أن يسود جو من المرح والهرج والمرج ، قال عصام :

ـ يا جماعة . . . المسألة لا تحتاج إلى كل هذا . . . إن جدنا يتمتع بقدرة خاصة على تفهم الظروف . . . وخاصة ظروف عمي المفتش جميل . . . فلا داعي للاختلاف حول هذه القضية . . .

كان وليد مصدر الحبور وصاحب النكتة بينهم ، فلم يدع كلام عصام دون تعليق ، لذلك قال بهدوء :

ـ فلسفة . . . أي نعم . . .

نهضت ليلى من مكانها متوجهة نحو وليد . فقفز من مكانه بسرعة ، وبدأ فاصل من الشجار البريء بينهم ، تحت بصر المفتش والسيدة سعاد ، وقد شارك في هذا الجو كل من سرور بقفزاته وصفراته المعتادة ، فيما كان فصيح يردد بعض كلمات من حوارهم ، ويطير من مكان لآخر . . . أما فينو ، فقد رضي بالبقاء بجانب مقعد المفتش جميل واكتفى بتحريك ذيله بين الحين والآخر . . .

هدأت العاصفة ، عاد كل منهم إلى مقعده وقد انهكهم التعب ، خاصة بعد تناول وجبة دسمة ، وما أن استقر بهم المقام حتى قالت ليلى متسائلة :

ـ لا أظن أن السيارة ستتسع لنا جميعاً ؟! . . .

بهذه الكلمات ، أفسحت ليلى المجال لخالد لكي يبدي رأيه ، خاصة وقد خاف أن يعيدوا النظر فيما شرعوا فيه ، فقال :

ـ كيف ؟ . . . يستقل بابا وماما وأحدنا أو أكثر سيارة بابا ، ومن يبقى يركب في سيارتنا . . . أم ترى نسينا أفضالها علينا . . .
وبلهجة مؤثرة كأنه يرثي عزيزاً عليه ، تابع يقول :

ـ صحيح أنها صغيرة الحجم ، وقديمة الطراز . . . ولكن كانت لها أفضال لا تنسى . . . ياما وياما . . . ماذا أقول عنها ؟ . . .

كان المفتش جميل يتبادل مع السيدة سعاد نظرة ذات مغزىً ، والابتسامة الناعمة ، الابدية تزين وجهيهما ، ولكن وليد أجابه بدهاء :

ـ ألا تحمد الله أنك تمتلك سيارة وأنت في هذه السن ؟ . . . صحيح أنها سيارة قديمة بعض الشيء . . . وصغيرة نسبياً . . . ولكنها سيارة . . . فهي لا زالت قوية . . . على كل حال هي أفضل من لاشيء . . . . .

مرة أخرى تبادل الزوجان نظرات باسمة ، لم يسع السيدة سعاد ، بعدها إلا أن تهز رأسها وهي تقول :

ـ أشْتَمُّ من الحديث رائحة مؤامرة . . . هل اتفقتم على ما يجب قوله مسبقاً ؟ . . . اعترفوا . . . هل هذه القصة من إعداد وإخراج خالد ؟ . . . أصدقوني القول . . .

ساد صمت ثقيل على الجميع ، فقد كان حديث السيدة سعاد مفاجأة لهم ، فتبادلوا نظرات بلهاء حائرة ، أنقذهم من تأثيرها صوت خالد وهو يقول مبتسماً :

ـ حقاً أنني ورثت الذكاء ، إن كنت ذكياً ، من طرفين . . . ماما وبابا . . .

نظر إليه والده المفتش جميل وقال وقد رفع حاجبيه لترتسم على وجهه علامة الإعجاب مع الدهشة لما يسمع :

ـ كأنك تعترف ؟ . . .

هز خالد رأسه ، وقال بصراحة اعتاد مواجهة أهله بها :

ـ نعم . . . إنني أعترف . . . وأعترف كذلك أننا كبرنا ، وازداد وزننا . . . فلم تعد « عزيزة » قادرة على السير بنا ، ولا حتى على استيعابنا جميعاً . . . إلا بصعوبة . . . .

كان عصام يرقب ما يجري أمامه ، وكأنه ينتظر الفرصة ليقول ما يريد ، وها قد سنحت الفرصة ، فقد سكت خالد ، فانبرى عصام يقول :

ـ مع كل ما ذكرتم فإن « عزيزة » هي « عزيزة » . . . وفراقها أمر فوق طاقتنا ، ولكن . . . طالما أن الأمر كما ذكر خالد . . . فلا بد من التضحية . . .

انفجروا ضاحكين عندما أنهى عصام كلامه ، وقدَّر المفتش أن الوقت قد حان لمكاشفتهم بجزء من الحقيقة ، فوقف وبرح مكانه ، فالتفتوا جميعاً إليه ، فهذا ما كان يقصده ، لأنه قال لهم على الفور :

ـ يبدو أنكم تحاولون ، بحذق ، التكهن بما سيحدث . . . ألم يبلغكم خالد أن مفاجأة بانتظاركم ؟ . . .

دهشوا لما سمعوا . . . وظهرت علامات الفضول والحيرة في عيونهم ولمح فيها نظرات مستطلعة متشوقة لمعرفة الخبر . . . فقال بعد برهة صمت :

ـ استلمت رسالة من جدكم العزيز . . .

وسكت ، فيما ازدادت رغبتهم في معرفة مضمونها . . . . ولكنه تابع :

ـ ترغبون ولا شك في معرفة ما جاء فيها . . .

تبادلوا نظرات مستفهمة ، فقال خالد :

ـ وما شأن الرسالة بالمفاجأة يا بابا ؟ . . ألم تخبرني حضرتك أنك أنت صاحب المفاجأة ؟؟ . . . ما علاقة الرسالة بهذا الموضوع ؟

ابتسم المفتش ابتسامة عريضة ، وهز رأسه بالموافقة على كلام خالد ، لكنه أردف قائلاً :

ـ حسناً . . . سأتلو عليكم الجزء المتعلق بكم من الرسالة . . . وهو المفاجأة بعينها . . .

كان المفتش يتابع كلامه ، وقد دس يمينه في جيب سترته ، وأخرج

منها رسالة فض غلافها وراح يفتش عن المقطع المقصود . . . وبعد لحظة مضوها بترقب وقلق بالغين تناهى إلى أسماعهم صوته وهو يقرأ :

ـ . . . لذلك أرغب إليك إبلاغهم ما طلبته منك نيابة عني على شرط حضورهم لزيارتي في أول رحلة لها . . . . .

اتسعت حدقات عيونهم وهم يحملقون في وجه المفتش باستغراب ، وعقدت الدهشة ألسنتهم . . . وحاولوا فهم ما يريد جدهم بهذا الطلب ، فقال عصام متلعثماً مستعيناً بالتعبير عما يريد قوله بإشارة من يديه :

ـ جدي ؟ . . . هل ؟ . . . . . . يعني . . . .

لم يكمل عصام كلامه ، لكنه حملق في وجوههم وهم يضحكون من الذهول الذي استولى عليه لهذه المفاجأة . . . ولكن ليلى قالت بحنان الأخت :

ـ عصام ؟ . . . ماذا دهاك ؟ . . . المعنى واضح . . . يا لجدي الحبيب . . . .

كان خالد ثاني المتكلمين بعد ليلى . . . فقال متسائلاً :

ـ وهل يعني أنه سيشتري لنا سيارة ؟ . . .

على الفور ارتسمت الابتسامة الرقيقة على محيا المفتش ليقول لهم :

ـ بل اشتراها فعلاً . . . والمطلوب هو الذهاب لاستلامها من صالة العرض !! . . .

هتف وليد بحماس وفرح :

- وهل هي جديدة ؟؟ . . .
- نعم . . . من الوكالة مباشرة . . .

أجابه بحزم المفتش جميل الذي غمره السرور وهو يرقب تصرفاتهم ويتابع فرحهم بالحديث المفاجىء . . . وتعبيراً عن فرحته صرخ خالد :
- يحيا جدو . . .

وهتفوا جميعاً بعده ، مرددين ، دون انتباه لانسجام الهتاف فيما كانت أيديهم ترتفع بالهواء ملوحة بالتحية للجد السخي :
- يعيش . . . يعيش . . . يعيش . . .

من بعيد كان أعضاء السيرك الحيواني يتابعون حركات وسكنات أفراد الفرقة ، فما كان من فصيح إلا أن صرخ بعدهم :
- يعيش جدو . . . يعيش . . . يعيش . . . . يعيش جدو . . . . يعيش . . .

التفت المفتش ناحيته وقال بإعجاب :
- هل لاحظتم ماذا حدث ؟ . . .

نظروا إليه جميعاً باستغراب ، وكانوا عاجزين عن التفكير بما يريد المفتش معرفته ، لكن السيدة سعاد سألته ، باستغراب هي الأخرى :
- وماذا تقصد ؟ . . .

أجابها المفتش وهو ينظر ناحية فصيح :
- الهتاف الذي كان يردده . . . .

كانت المفاجأة أقوى من كل ما حدث بعدها . . . فلم يفهموا مرمى

المفتش ، لكن خالداً قال :
- لقد ردد هتافنا . . . .

هز المفتش رأسه علامة النفي وقال :
- لا . . . لقد غير عبارته . . . فقد اختار العبارة المناسبة . . . أو بالأحرى الكلمة الملائمة . . . وهذا يدل على أنه لا يردد فقط . . . . إنه يفهم ويعي ما يتفوه به . . . كان في هتافكم : يحيا جدو . . . فأبدله بـ : يعيش جدو . . .

نظروا إليه جميعاً بدهشة ، فقد استيقظوا من حلم لذيذ وصوت المفتش ينبههم ويعلمهم تفسير الظواهر وما يعترض سبيلهم . . . فهو لا يترك مناسبة تمر دون الاستفادة منها . . .

من جهة أخرى ، كانت السيدة سعاد تتابع حديثهم مع المفتش ، فأثنت على رأيه بقولها :

- صحيح . . . فلا شك أنهم هتفوا ، قبل الآن ، هتافاً مشابهاً . . . وهو يحفظ ، بل يسجل ما يسمع . . . إنه ذكي حقاً . . .

وعن نفس المعنى تحدث المفتش جميل مجيباً :
- لا خلاف أنه تعلم الهتاف منهم . . . المهم أنه أدرك أن العبارتين تحملان المعنى نفسه . . .

كان اهتمام الجميع بتصرف فصيح ظاهراً ، وعن بعد قبع كل من فينو وسرور يراقبان ، ولكن الغيرة دبت في نفس سرور ، وأغاظه سماع

عبارات المديح يقصدون بها منافسه ، . . . فتحرك من مكانه وقصد ناحية المفتش جميل ، ليمسكه من يـده ويجذبـه في محاولـة لإبعاده عن مكـان فصيح .

أعجب المفتش من تصرف سرور ، وهز رأسه وظل ابتسامة ذات معنى ارتسم على شفتيه ، وقال :

ـ اسم على مسمى . . . حقاً إنهم أذكياء . . . فقد كان أبي على حق حين وصفهم بأنهم أذكياء . . .

كانت ليلى تتابع الحديث ، وبدلال ودعابة اعتادت ممارستها مع عمها المفتش جميل ، قالت :

ـ وهل هم وحدهم أذكياء ؟ . . .

التفت المفتش ناحيتها ليجيب بتساؤ ل هو الآخر ، مذكراً :

ـ وأنتم أيضاً . . .. أليس هو من أطلق عليكم الاسم « المغامرون الأذكياء » ؟؟

* * *

حيلة فاشلة

استقلوا جميعاً سيارتهم المحبوبة « عزيزه » . . . فقد كانت هذه الرحلة الأخيرة لهم فيها . . . وكأنها أرادت أن تودعهم . . . ففضلاً عن إثبات جدارتها طيلة المدة التي اقتنوها خلالها ، كأنها هذه المرة أرادت أن تترك لديهم انطباعاً حسناً ، أو هكذا خيل إليهم ، فهي لم يطرأ عليها أي عطل خلال هذه الرحلة ، وبدت لهم متينة أكثر من اللازم . . . إنه الوهم والخيال الذي يعكس حبهم لها وتعلقهم بها رغم حصولهم على سيارة جديدة . . . . .

عندما انحرفت سيارة المفتش جميل تاركة الطريق الرئيسي الواسع ، إلى آخر فرعي ضيق ، واقتربت نهاية الرحلة ، قال وليد بأسف :

ـ لم يبق إلا مسافة هذا الطريق على فراق « عزيزة » . . . فعند نهايته نودعها أمام صالة العرض الخاصة بالمصنع . . .

في هذه الأثناء . . . كانت يد ليلى تمتد خلسة عن الجميع تتحسس جوانب السيارة ، وتلامس مقاعدها بتأثر بالغ ، ولم تنتبه لعبارة أفلتت من لسانها بصوت مسموع متحشرج النبرات :

ـ ما أصعب الفراق . . .

كان الوجوم يخيم على الجميع ، وإن كانت مشاعرهم المشتركة بالأسى لفراق « عزيزة » ، تخنق الكلمات في حلوقهم ، ولكن وليداً بادرهم بسؤال قطع حبل الصمت ليقول :

ـ ما رأيكم لو طالبنا عمي بعدم بيعها ؟ . . .

كانت كلماته سبباً لطرح هذا الموضوع ، فقالت ليلى تسأله :

ـ كيف ؟ . . . وهل سنحتفظ بسيارتين معاً ؟ . . . ثم لا تنسَ ما أخبرنا به عمي عن رأي جدي . . . ألا تذكر أنه عرض دفع فرق المبلغ بين ثمن شراء السيارة الجديدة وثمن مبيع « عـزيـزة » ؟؟

تدخل عصام بما يدور حوله من حوار وقال :

ـ نعرف هذا . . . ولكن إن قصدنا الاحتفاظ بها أمكننا التفكير بوسيلة للتغلب على عقبة كهذه . . .

وبصوت واحد سألوه بلهفة :

ـ كيف ؟؟ . . .

أجابهم بتؤدة بعد لحظة تفكير :

ـ نشتريها !!! . . .

ظهرت علامات الدهشة على وجوههم جميعاً ، وكانت ليلى أسبقهم للسؤال :

ـ نشتري « عزيزة » ؟ . . . كيف وهي ملكنا ؟ . . .

أدرك عصام فهم ليلى لما يريد ، فأجابها موضحاً :

ـ ألن تباع عزيزة للشركة ؟ . . . فهي لا تبقى ملكاً لنا . . . ولكننا

إذا جمعنا ، من مدخراتنا المشتركة في صندوق التوفير ، المبلغ المطلوب وندفعه إلى جدي ، أمكننا الاحتفاظ بها . . .

ظهرت على وجوههم علامات الرضى والقبول بالاقتراح ، وتبادلوا النظرات المعبرة عن ذلك ، ولكن خالداً استدرك أمراً ، فقال :

ـ وكيف يتسنى لنا ذلك ؟ إن من يتولى عملية المبادلة هو بابا . . . وليس لنا يد فيها سيجري . . . ماذا يجب أن نفعل ؟ . . .

كان الاعتراض في محله . . . والسؤال المحير كذلك ، فوجموا جميعاً ، يفكر كل منهم بوسيلة ناجحة يذللون بها هذه العقبة ، فقال وليد :

ـ من المسلم به أن عمي سيرفض اقتراحنا بإبقاء عزيزة . . . كما وأن جدي سيرفضه أيضاً . . . لذلك يجب أن يتقدم شخص نختاره نحن لشراء السيارة لحسابنا ولا يعرفه عمي . . .

لم يتحمس أي منهم لهذا الرأي ، فقد بدت علامات الخيبة على وجوههم ولسان حالهم يردد : «ومن أين نـأتي بهذا الشخص وَفي هـذه اللحظة بالذات ؟ » . . فلو فكروا بأصدقائهم من النادي ، وهم كثر وأوفياء ، كيف السبيل إليهم ؟؟ . . . فالوقت يمر والدقيقـة ، بل الثانية ، لها أهميتها . . . كيف العمل وهم يقتربون ، حثيثاً ، من نقطة النهاية ؟؟ . . .

كان خالد مطرقاً يفكر ، وبغتة سمعوه يقول دون أن يلتفت إليهم ، فقد كان بحاجة لأن يصرف انتباهه لقيادة السيارة :

ـ خطرت لي فكرة . . .

وقبل أن ينتظر سؤالهم عنها ، أردف يقول :

ـ ماذا لو أحدثنا عطلاً فيها ؟ . . . ساعتئذٍ يضطر والدي إلى تأجيل عملية المبادلة ريثما يتم العطل الذي سنحدثه . . . وبذلك تتاح لنا الفرصة لتدبير أمورنا ؟؟ . . .

كان الجميع يصغون إلى هذا الاقتراح وبدت علامات الارتياح عليهم ، فقال عصام مؤيداً :

ـ عظيم . . . بهذا نستطيع الحصول على المبلغ الذي نريده من صندوق التوفير . . .

وكان وليد لا يقل حماساً ، فأردف يقول مؤيداً هو الآخر ، وبحماس :

ـ وكذلك نتصل بأحد الرفاق ليتولى عملية الشراء . . .

وفي النهاية أبدت ليلى رأيها بالقول :

ـ فكرة ممتازة . . . فهل تتولى يا خالد تنفيذ ما تنوي القيام به ؟ . . .

أوقف خالد السيارة إلى جانب الطريق ، وهو يراقب سيارة والده التي أصبحت بعيدة عنهم نسبياً ، وترجل منها ، وبطريقة فنية استطاع فصل أحد الاسلاك الكهربائية فيها . . . ثم عاد إلى السيارة التي تحولت إلى قطعة من حديد لا تقوى على التحرك من مكانها ، وقال لهم :

ـ لقد عطلت أحد أسلاك الكهرباء ، فلن تتحرك عزيزة الآن . . .

في هذه الأثناء ، كانت عيونهم تتجه ناحية سيارة المفتش جميل وما هي إلا لحظات حتى قال وليد :

ـ رائع . . . لقد نجحت الخطة ، وها هي سيارة عمي تستدير نحونا . . .

وبعد دقائق كانت سيارة المفتش تقف إلى جانب الطريق من الناحية المقابلة ، فترجل منها المفتش وسألهم :

ـ ما الخطب أيها الأولاد ؟ . . .

أجابه وليد على الفور :

ـ لا ندري يا عمي . . . لقد سكت محركها فجأة . . . دون مقدمات . . .

طلب من خالد رفع غطاء المحرك وهو يسأل :

ـ هل هو الوقود ؟ . . .

أجابه خالد :

ـ لا يا بابا . . . معنا من الوقود ما يكفي لرحلة أطول والعودة إلى المنزل أيضاً . . .

رفع المفتش الغطاء ، وقال هو ينظر إلى المحرك الصامت :

ـ إذن هو موزع الوقود . . . من « الكاربوراتور » . . . لا شك أن سداً أقفل فتحاته . . .

لكن خالداً أجابه بثقة ، بعد أن ترجل ووقف إلى جانبه :

ـ لا أظن يا بابا . . . فالموزع ، كما أعلم ، يعمل بانتظام ، وقد

كشفنا عليه . . .

قال المفتش باقتناع :

ـ إذن العطل في الكهرباء . . . لا بد أن أحد الأسلاك أصابه عطل و . . .

وقبل أن يتابع المفتش حديثه وقبل أن يرد خالد أو أي فرد منهم على كلام المفتش ، صاح فصيح :

ـ كهرباء . . . كهرباء . . .

نظروا إليه بخوف ، واكتست وجوههم بحمرة محببة لم يصعب على المفتش اكتشاف سببها، ولكنه بدد قلقهم بقوله :

ـ لا بد أنكم ذكرتم على مسامعه كلمة الكهرباء . . . وإلا كيف حفظ الكلمة لو لم يتفوه بها أحدكم بعد عطل السيارة ؟؟ . . .

تضاحكوا جميعاً . . . فقد زال الخطر في تقديرهم . . . ولم يكن بوسع خالد إلا القول موضحاً ومموهاً :

ـ بالطبع . . فقد وردت كلمة الكهرباء على مسامع فصيح، من ضمن الأسباب التي تداولنا بها بعد عطل السيارة . . . فقد توقعنا أن يكون من الكهرباء . . .

ولكن « فصيح » عاد للثرثرة من جديد :

ـ كهرباء . . . أسلاك . . . كهرباء . . . أسلاك . . .

لم يسع المفتش إلا الاستغراق في الضحك ، وهو يستدير ليجيب عن



سؤال السيدة سعاد التي كانت تقول :

- ماذا جرى ؟ . . . هل أصابها عطل ؟ . . .

أجابها بلهجة لا تخلو من روح الدعابة :

- نعم . . . ولا غرابة في الأمر . . . إنما الجديد في الموضوع أن السيد فصيح أصبح ميكانيكياً بارعاً ، وكهربائياً ماهراً . . . فهو يفهم بالكهرباء . . . والأسلاك . . .

قبل أن يتابع المفتش حديثه ، سألته السيدة سعاد :

- وما العمل ؟ . . . هل بالإمكان إصلاح العطل أم نرسل أحداً يتولى ذلك ؟ . . .

أجابها المفتش جميل ببساطة :

- لا . . . لا نستطيع نحن إصلاحها . . .

ثم التفت إليهم وقال :

- أقفلوها جيداً واصعدوا في سيارتنا . . . وعندما نصل إلى المصنع نرسل أحد الميكانيكيين مع قاطرة لسحبها إلى هناك . . .

وجموا جميعاً ، وساد المكان صمت رهيب ، فقد كان اقتراح المفتش يتنافى مع مخططهم . . . بل يلغيه . . . لذلك قال خالد :

- يسحبها إلى المصنع ؟ . . . ولكن ذلك يقلل من قيمتها . . . بالعكس . . . لو وصلت ومحركها يعمل ، وفي حالة مقبولة ، فإن ثمنها يرتفع . . .

فكر المفتش باقتراح خالد ووجده مقبولاً ، فابتسم وقال :

- اقتراح صائب ومعقول . . . لا بأس على أي حال . . . لا تهتموا لهذا الأمر ، سوف نعرج في طريقنا إلى مرآب أحد الميكانيكيين الذين أعرفهم ونطلب منه جرها وإصلاحها . . . هيا اصعدوا ولا تضيعوا الوقت . . .

غمرتهم الفرحة ، وانتقلوا بسرعة إلى سيارة المفتش ، فواصل السير وهو يقول :

- أرجو أن يكون العطل بسيطاً حتى لا تتأجل عملية الاستلام والتسليم ، ومبادلة السيارة الجديدة . . .

عاد السكون يخيم عليهم ، والوجوم يعقد ألسنتهم ، وبعد برهة استعاد خالد ثقته بنفسه وسأل والده :

- وما الذي يؤجل الاستلام ؟ . . . ألم يسدد جدي المبلغ بكامله ثمناً للسيارة ؟

ابتسم المفتش علامة إدراكه لما فعلوه وقال :

- بلى . . . فقد سدد ثمن سيارة واحدة . . . ولكن ثمن اثنتين كلا أيها الشياطين . . .

* * *

شعور بالذنب

وصلت سيارة المفتش جميل إلى باحة المقصف الذي اختاره لتناول الغداء . . . وعلى غير عادة ، فقد ساد اجتماعهم صمت ثقيل لأنهم ما زالوا تحت تأثير الخجل من الموقف الذي وقفوه حيال المفتش . . . ولما لاحظ المفتش شدة خجلهم ، ابتسم وقال لهم :

ـ ماذا أصابكم ؟ . . . هل فوجئتم باكتشافي لعبتكم الماكرة ؟ . . .

تململوا في أماكنهم ، وتبادلوا نظرات خجلة ، فلم يستطع أحدهم رفع ناظريه في وجه المفتش ولا وجه السيدة زوجته التي تدخلت قائلة :

ـ لم أفهم حتى الآن ماذا يدور من حولي ؟ . . . أنت تتحدث بالألغاز ، وهم يلوذون بالصمت ؟ . . .

أراد المفتش إخراجهم من هذه الورطة التي زجوا بأنفسهم فيها ، فضحك وقال :

ـ على رجل المباحث الذكي الاستفادة من كل كلمة يسمعها ، . . أو أي تأثير يلمحه في وجوه الآخرين . . . كنت أعلم أن بيع السيارة يؤثر في نفوسكم لشدة حبكم لها ، فتوقعت حيلة من حيلكم لعرقلة بيعها مع أنكم ستمتلكون سيارة جديدة هدية من جدكم مكافأة على

صبركم ونشاطكم . . .

وتوجه بالحديث إلى السيدة سعاد ، قائلاً :

ـ ولكن بالحقيقة ، لم أكن أتوقع منهم التحايل عليَّ بتعطيلها عمداً . . .

فغرت السيدة سعاد فاها وهي تنظر إليه مستفسرة ، وقالت :

ـ هل عطلوها عن المسير عمداً ؟ . . .

هز رأسه بأسف ، وأجاب قائلاً :

ـ نعم يا سيدتي . . . ولولا تعليق فصيح عن الكهرباء والأسلاك لما تنبهت إلى حقيقة اللعبة . . .

سألته السيدة مستغربة :

ـ وهل وشى بهم هذا الثرثار ؟ . . يا له من ماكر !! . .

انتهز فصيح ، الرابض على كتف خالد ، الفرصة وصاح :

ـ فصيح واشٍ . . . فصيح واشٍ . . .

ضحك المفتش لتعليق فصيح ، وابتسم الجميع ، وإن لم تظهر على وجوههم إمارات الفرح ، لأنهم ما زالوا مطأطئي الرؤوس ، ولكن المفتش كان يتولى عملية دفعهم للكلام بأي وسيلة ، فهو يريدهم شجعاناً ، يقولون الحقيقة مهما كانت نتائجها بالنسبة لهم ، على شرط التفكير مسبقاً بما ستنتهي إليه . . لذلك قال :

ـ لم يكن فصيح يقصد الوشاية بهم . . . لكنه ردد كلمة كهرباء

وأسلاك من بعدها . . . فلو أضفنا هذه الملاحظة للفكرة الأساسية : تعطيل السيارة . . عرفنا على الفور ماذا جرى ، وكيف تمت العملية . . .

ونظر المفتش إليهم دون أن يكف عن الكلام ، وقال باسماً :

- عزل بسيط لكابل البطارية عن إصبعها يكفي لأن يمتنع المحرك عن الدوران من جديد . . . وهذا كفيل بأن تبقى السيارة في مكانها لبعض الوقت . . .

نظروا إليه بإعجاب ، وإن كان الخجل ما زال سيد الموقف ، إنه يتحدث وكأنه رافق خالداً للقيام بعمله . . . لم يطل صمته إذ قال بحزم وتنبيه : . . . ولكن ألم تفكروا أن الأمر لن يستغرق من الميكانيكي المختص سوى لحظات يسيرة يكشف على أثرها سبب العطل ؟؟ . . .

تنهد خالد وقال بشجاعته المعهودة ، بعد أن أحس أن الموقف لا يتحمل أكثر من هذا :

- أهنئك يا بابا . . . فقد كان استنتاجك ، كالعادة ، صائباً كبد الحقيقة . . . أنت رائع . . . فعلاً ، فقد حدث ما تفضلت بذكره الآن . . .

نظر جميل في عيني ولده وقال والابتسامة لا تفارق ثغره :

- أيها الشيطان الماكر . . . وفر على نفسك محاولة التأثير عليَّ بكلامك المعسول وإطرائك الزائد عن حد الحقيقة . . . أريد إجابة واضحة

ومحددة عن سؤالي : ألم تفكروا بافتضاح أمركم فور الكشف عن عطل السيارة ؟ . . .

عادت سحابة من الوجوم تظلل مكان وجودهم ، وازدادت حمرة وجوههم ، وكان أشدهم خجلاً ليلى التي طأطأت برأسها متحاشية النظر ناحية عمها ، الذي قال :

- لا شك أنكم فكرتم بهذا . . . آه . . . كأني بكم تحاولون كسب الوقت . . . طبعاً توقعتم سحب السيارة الى الميكانيكي في الغد ، وهكذا يصبح لديكم الوقت الكافي للقيام بعمل تخططون له . . .

خرج عصام عن صمته وقال :

- نعم يا عمي . . . هذا ما هدفنا إليه . . .

لم تفارق الابتسامة ثغر المفتش الحنون وهو يسألهم إذ قال :

- إذن أنتم تعتقدون أنكم بحاجة لمهلة يوم أو يومين . . .

ودون تردد أجابه خالد على الفور ؛ وبالصراحة المعهودة :

- بالضبط . . . هذا ما قصدنا الحصول عليه . . .

كان ظن المفتش متجهاً إلى أمر معين ، ولكنه كان بحاجة لسماع ذلك منهم ، فكان لا بد من المسايرة في الحديث ، فقال :

- عظيم . . . نفترض أن ذلك تم بالفعل ، وأتيحت لكم المهلة المطلوبة ، وبعد ؟ . . .

أسقط في يدهم ، فلا مناص من الاعتراف بكل الحقيقة ، حقيقة

رغبتهم في الاحتفاظ بالسيارة ، ومشاعرهم نحوها . . . وكالعادة في مثل هذه المواقف كان اعترافهم صريحاً وشجاعاً . . . كان الإعجاب والتأثر يرسمان علاماتها على وجهيّ كل من المفتش والسيدة زوجته وهما يصغيان باهتمام شديد للاعتراف ، وللاعتذار من بعده . . . غلب على السيدة سعاد التأثر لهذا الموقف ، فنظرت إلى المفتش ولمحت على محياه ابتسامة عريضة وقال لها :

ـ والآن . . . ما رأيك ؟؟ . . .

ابتسمت هي الأخرى وأجابت :

ـ ماذا أقول . . . أنت ترى شدة حبهم لها وتعلقهم بها . . .

وتوقفت عن الكلام ، فما كان منه إلا أن قال على الفور وببطء :

ـ لا بأس . . . سنحتفظ بـ « عزيزة » . . . وسأنسى كل ما حدث اليوم . . . ولكن حذار أن يتكرر . . . فلن أسمح ثانية بمحاولة خداعي بمثل هذه الألاعيب الصبيانية . . . لقد ربيتكم على الصراحة والصدق والشجاعة في مواجهة أي موقف . . . أرجو أن يستمر أثر هذه التربية إلى ما شاء الله لكم أن تعيشوا . . . أظن كلامي مفهوم . . . أليس كذلك ؟ . . .

كان صمت ثقيل يظلل مكانهم . . . ولكنهم أحسوا في النهاية بأن كابوساً ثقيلاً انزاح عن صدورهم . . . واختلطت المشاعر لديهم . . . مشاعر فرح بالاحتفاظ بعزيزة ، ومشاعر رهبة من الانزلاق في مواقف مشابهة مستقبلاً . . . إلى جانب مشاعر الحب والاحترام المتزايد للمفتش جميل والسيدة زوجته . . .

لقاء الأعداء

في غمرة تأثرهم لما حدث ، والموقف الحرج الذي زجوا انفسهم في متاهاته ، لم يفطنوا ، على غير عادة ، إلى جيرانهم في المقصف الذين اتخذوا لأنفسهم مائدة قريبة منهم وكانوا ثلاثة رجال . . . انحنى أحدهم على أذن رفيقه ليهمس محذراً :

ـ لا تلتفتوا إلى الوراء ! . . . هل تعرفون من يقاسمنا هذا المكان ؟ . . .

استبد بهم الفضول ، فقد كان المتكلم مواجهاً لمائدة المفتش ، فيما أدار الآخران ظهريهما لها ، ولكن المتحدث لم يمهلهما ليسألوه ، بل تابع كلامه قائلاً :

ـ إنه المفتش جميل وشياطينه . . .

استبد بهم قلق مفاجىء ، وأحسوا بخطر داهم يحيق بهم ، فظهرت أمارات الخوف والهلع على وجوههم ، وقال أحدهم بصوت مرتجف النبرات :

ـ وماذا ننتظر هنا ؟ . . هيا بنا نغادر المكان فوراً . . . أسرعا .

وحاول النهوض ، ولكنه أقلع عن عزمه عندما تكلم رفيقه ، وإن

كان لا يقل خوفاً عنه ؛ فقال :

- لا ؟ لا يجب أن نذهب إن كنا لا نرغب في تعرفهم علينا . . . يجب أن نبقى في أماكننا حتى يفرغوا من طعامهم وينصرفوا قبلنا . . .

قال الآخر ، وقد اربدَّ وجهه وعكست ملامحه شعوراً بحقدٍ دفين ، ونظرات أعماها حب الانتقام :

- لا . . . لن ندع هذه الفرصة تفلت من يدنا . . . سيكون انتقامنا رهيباً . . .

كان كلامه صارماً ، فنظر إليه رفيقاه ببلاهة وغباء ، لكنه قال بلهجة آمرة :

- ربيع . . . عليك الإسراع بتنفيذ ما سأقول . . . في صندوق السيارة تجد ما يلزم من معدات لتنسف سيارتهم . . . أسرع . . .

بهت ربيع لهذا الطلب ، وارتعدت فرائصه لإقدامه على هذا العمل ، وتساءل :

- ننسفها ؟ . . . ماذا تقول يا رئيس ؟ . . . وكيف يتسنى لنا القيام بهذا العمل في وضح النهار والمكان يضج بالرواد ؟ . . .

كرر الرئيس طلبه بلهجة لا تقبل الجدل ؛ وأردف قائلاً :

- إنه أمر سهل جداً . . . أمامنا ما يقارب الساعة قبل أن ينتهوا من طعامهم . . . وأحس أن أمراً غير الطعام يشغلهم . . . وهذا

يساعدنا ، أما أنتما فتظاهرا بأنكما من عمال الصيانة يقومان بإصلاح السيارة ، والثياب موجودة في السيارة كذلك ، في هذه الأثناء ثبتا المتفجرات على أن تضبطا التوقيت بعد ساعتين من الآن . . . ربيع أخرج أنت أولاً ، وانت يا عبد الفتاح اتبعه إلى الخارج ، ولكن من الباب الجانبي . . . مفهوم ؟ . . .

سأله ربيع ، والتردد يحكم تصرفاته :

- ماذا لو ضبطنا أحدهم أثناء القيام بهذا العمل ؟ . . . ألا ترى أنه من الأفضل مراقبتهم حتى تحين اللحظة المناسبة ؟ لحظة نضربهم فيها ضربة قاضية ؟ . .

والتفت إلى زميله وقال :

- أليس كذلك يا عبد الفتاح ؟ . . . ما رأيك ؟ . . .

كان الحقد يسيطر على تفكير عبد الفتاح هو الآخر ، وبدون وعي منه أجاب :

- لا . . . لن أدع هذه الفرصة تفلت من أيدينا . . . إنها فرصتنا الذهبية . . . ألا تذكر أننا بسببهم مطاردون ومحكوم علينا غيابياً بالسجن لمدة عشر سنوات .

وصل النادل يحمل إليهم ما طلبوه من طعام ، فانقطع عبد الفتاح عن متابعة كلامه . . . ولما انتهى النادل من القيام بعمله قال ربيع ، وقد وجدها فرصة مناسبة لعدم القيام بهذه المهمة القذرة :

- لو تركنا طعامنا وانصرفنا الآن سنلفت الأنظار إلينا . . . تروّى يا

« ريّس حمّاد » ولا تتعجل الأمور . . . ثم لا تنسَ أننا نتعامل مع المفتش جميل وشياطينه . . .

لم يكترث « الريّس حمّاد » لملاحظة ربيع ، وتحذيره ، فتجاهل الأمر ليقول :

ـ أرى ابن المفتش وذاك الثور الضخم ، ابن شقيقه ، يغادران المائدة ، لا بد أنهم في الطريق لأداء مهمة ما . . .

لاحقهما ربيع بنظراته ، وقد تجدد عنده الأمل بتأجيل القيام بهذه المهمة القذرة المحفوفة بالمخاطر وقال :

ـ لا بد أنهما سيستعملان السيارة ؟ . . .

أجابه حماد بهدوء وببرود أعصاب يتمتع بها المجرمون الخطيرون :

ـ حسناً . . . إنها فرصة لازدراد ما أمامكما من طعام والانتهاء منه . . .

شعر ربيع بالاطمئنان لهذا القرار ، فشرع يتناول طعامه بأمان . . .

* * *

الكلب الذكي

استقل خالد سيارة والده ، وصعد إلى جانبه وليد ، وانطلقا بها مسرعين قاصدين المكان الذي أودعوا فيه « عزيزة » . . . أثناء الطريق ، التفت وليد ناحية خالد وقال :

ـ يا إلهي . . . لم يصادفني ، في حياتي كلها ، موقف حرج كهذا الموقف . . .

ضحك خالد وقال يفخر بتصرف والده :

ـ ولا أنا . . . ولكن ألا يثبت لك استنتاج أبي لما حصل أنه لم يكتسب شهرته عبثاً ؟ . . . أتمنى أن أتمتع بمثل ذهنه المتقد التفكير ، وتسلسل أفكاره ، وحسن تقديره للأمور . . .

كان خالد يكيل المدائح لوالده الغائب ويجد لذة في متابعة الحديث عنه . . . ولكن وصولهما إلى مكان « عزيزة » أوقف الحديث . . . فترجل وليد من السيارة وقال :

ـ إذهب يا خالد ، أنا أصلح العطل وألحق بك بها . . .

لم يوافق خالد على هذا الرأي ، بل ترجل هو الآخر وقال :

ـ أنا من عطلها وأنا من سيقوم بإصلاح العطل . . .

وبنفس المهارة التي عطل بها السيارة، أعاد كل شيء إلى وضعه

الطبيعي . . . وما هي إلّا دقائق حتى كانت « عزيزة » تتبع بثقة ، خط سير سيارة المفتش ، يتولى خالد قيادتها ، تاركاً لوليد سيارة والده . . . . وفي نفس المكان الذي كانت فيه سابقاً ، أوقف وليد سيارة المفتش ، وانسلَّ داخلاً إلى المطعم لينضم إلى أفراد الاسرة المنتظرين ، فيما ترك لخالد مهمة اختيار المكان المناسب لعزيزة . . . فقد كان من المتعذر ، وسط هذا الزحام في عدد السيارات ، إيجاد مكان لسيارة أخرى . . . .

لم يتأخر خالد عن اللحاق بوليد ، والانضمام إلى الباقين ، في حين كانت عينا حمَّاد ترصدان ما يجري عند مائدة المفتش . . . كان حماد مطمئناً لعدم انكشاف أمره وهو يتنكر بهذه الصورة الجديدة التي اختارها لنفسه . . . ولم يشك لحظة أن المفتش أو أحد شياطينه ، استطاع التعرف عليه . . . . ودون تردد ، قال بلهجة آمرة :

ـ أسرعا . . . لقد عاد الفتيان . . .

سأله عبد الفتاح :

ـ هل ما زال يحتفظ بالسيارة عينها ؟ . . .

أجابه حمّاد على الفور ، وبثقة :

ـ بالطبع . . ورقمها المميز يجعل من اليسير التعرف إليها . . . هيا . . ستجداها في الخارج تنتظر . . .

نهض ربيع وغادر مكانه متجهاً إلى الباب الجانبي . . . وبعد لحظات تبعه عبد الفتاح . . . وهكذا انكشف أمام الريّس حماد منظر مائدة المفتش جميل . . . فانبرى ينظر إليهم بحقد دقيق ، يتلمظ كالأفعى

الرقطاء التي تستعد للدغ عدو لها . . . وشرد ذهنه وهو يتخيل منظرهم وقد تطايروا أشلاء . بعد انفجار السيارة بهم . . . .

على الطرف الآخر . . . كانت المحبة والحبور والتسامح تسود الجو المحيط بمائدة المفتش وأفراد عائلته . . . فقد بدا عليه الارتياح وهو يستقبل ابنه وابن أخيه بعد إحضار عزيزة . . . وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة وهو يقول :

ـ كانت مهمة سهلة . . . أليس كذلك ؟؟ . . .

ضحك وليد وهو يهم بالجلوس على كرسيه ، وقال :

ـ بالطبع يا عمي . . . وقد أسرعنا في إنجازها حتى نلحق الشواء الذي طلبناه ، ساخناً . . .

ضحك الجميع من كلام وليد فكلهم يعرف مدى شغفه باللحم المشوي ، فكيف وهو في مطعم مختص بتحضير هذا النوع من الطعام . وعليه شهرته الواسعة ؟ . . . كان أول المتكلمين ، بعد هذا الفاصل الضاحك ، السيدة سعاد التي قالت :

ـ أنتما سعيدا الحظ فعلا . . . فقد تأخروا بإحضار الطعام على غير عادة . . .

لكن انتظارهم لم يدم طويلاً ، فقد وصل النادل يحمل الدفعة الأولى من الطعام المطلوب ، وتوالى بعدها وصول الأصناف المطلوبة . . . شمروا عن سواعدهم وساد صمت أبدلوه بأصوات قرقعة الصحون وأدوات المائدة المختلفة ، على غير عادتهم على المائدة . . . ولكن ما

العمل وقد قرصهم الجوع بنابه التي لا ترحم ؟ . . .

ظل حماد قابعاً ، كالأفعى ، في مكانه يرقب تصرفاتهم ، حتى إذا رأى النادل والخدم يرفعون صحون الطعام الفارغة عن المائدة ، أدرك أنهم على وشك الانصراف . . . معنى ذلك أن اللحظة المرتقبة ، والتي طال انتظاره لها قد أزفت سريعاً وبدون مقدمات . . . وتحضيرات . وشعر بدافع قوي ليكون بالقرب من ضحاياه لحظة الانفجار ، فغادر مائدته متجهاً نحو باب المطعم الرئيسي . . . كان عليه أن يمر إلى جوار مائدة المفتش جميل . . . وكان مطمئناً لا يتطرق إلى نفسه أدنى خوف من انكشاف أمره وهو متنكر بهذا الزي الذي غيّر ملامحه . . .

ولكن . . . حدث ما لم يتوقع حدوثه ، إذ ما كاد يقرب من مائدة المفتش حتى هب فينو واقفاً في مكانه مزمجراً ، وقد مد عنقه باتجاهه ، متحفزاً للوثوب عليه وعلامات الغضب ظاهرة في حركاته وزمجرته . . .

ارتبك حماد ارتباكاً شديداً كاد يفقد معه السيطرة على نفسه ، ولكنه تدارك الأمر ، واستطاع السيطرة على هذا الارتباك المفاجيء ، وتظاهر بالمسكنة والخوف ، وتراجع ، بحركة تمثيلية، إلى الخلف . . . فهب خالد من مكانه مسرعاً ، ونهر فينو يسكته . . . التفت فينو ناحية خالد ، وهز ذيله ومؤخرته ، وكشر عن أنيابه مزمجراً بصوت مرعب يصدر عن أعماقه ، فلم يسع خالداً إلا أن ينحني عليه ، ويمسكه من طوقه بإحكام ، ريثما يمر ذلك الغريب الذي مر من أمامهم

كالسهم . . . ازداد غضب فينو ، وحاول التخلص من قبضة صاحبه وسط دهشة خالد والجميع الذين استولت عليهم الحيرة من تصرف فينو المفاجئ حيال شخص لا يعرفونه . . . فقال خالد باستغراب معلقاً على ما حدث :

ـ فينو ! . . . ماذا دهاك ؟ . . . هل جننت ؟؟ . . .

كان فينو ، لحسن تدريبه على يدي خالد وأفراد الفرقة ، يفهم قصدهم إن تكلموا معه كأنه ليس كلباً ، . . . . ولكنه هذه المرة بقي في حالة هياج شديد دفعت المفتش ليقول :

ـ لحظة يا خالد . . . ربما كان فينو على صواب في تصرفه هذا . . . أسرع واتبعني ولا تدعه يفلت من قبضة يدك . . .

ونهض المفتش من مكانه وهو يتابع كلامه إلى خالد ، وأسرع إلى الخارج ، وتبعه خالد ممسكاً بزمام كلبه الذي سبقه وحاول الافلات منه . . . توقف المفتش جميل عند باب المطعم ، ونظر في جميع الاتجاهات باحثاً عن الرجل الذي استطاع الاختفاء تماماً ، أو هكذا خيل إليهم ، وسط الازدحام الشديد في الباحة الخارجية للمطعم . . . فالتفت المفتش إلى ولده وقال :

ـ لا أثر له . . . هيَّا بنا . . . .

كان خالد دهشاً لتصرفات والده ، فهو لم يعرف بماذا يفكر ، وقبل أن يعودوا أدراجهم سأله خالد :

ـ وهل تعرف الرجل يا بابا ؟ . . .

هز المفتش رأسه بالنفي وقال :

ـ لا ... لا أعرفه ... ولكن أشك أن فينو تعرف عليه .. فهو الذي ثار لما رآه وليس أنا ....

ازدادت دهشة خالد واشتد استغرابه لتصريح والده فقال :

ـ هل تعني أن فينو تنبه إلى رائحته وتعرف عليها ؟....

كان خالد يحدث المفتش في طريقهما إلى المائدة ، ولما قاربا الوصول إليها ، كان المفتش يجيبه بقوله :

ـ أعتقد هذا ... وإن كانت صورته وملامحه غريبة عني تماماً ...

سكت المفتش برهة ، وقال كأنه استدرك أمراً فاته التفكير فيه :

ـ ولكن ... إن كان الأمر غير هذا فبماذا تفسر تصرف فينو حياله ؟...

أجابه خالد بثقة العارف لطبيعة كلبه بالقول :

ـ لو لم يكن فينو قد احتك به في الماضي لما حاول مهاجمته بكل هذه الشراسة ... أظن رائحة الرجل مألوفة لفينو ... هذا هو التفسير الوحيد ...

أخذ كل منهما مكانه ، وطلب المفتش منهم البقاء برهة بالقول :

ـ أرى أن نشرب القهوة أو أي صنف من المرطبات ثم ننصرف بعدها إلى المعرض قبل موعد الإقفال للفترة الأولى ، حتى لا نرغم على الانتظار لفترة المساء ...

انتهوا من شرب ما طلبوه من النادل ، ونقد المفتش جميل ما يتوجب



عليه من مال إلى أمين الصندوق ، وقال لهم وقد تجمهروا قرب الباب الخارجي :

ـ ما رأيكم لو ذهبنا إلى المعرض سيراً على الأقدام ؟ فالمسافة قصيرة ، والسير يساعد على هضم هذه الوجبة الدسمة . . .

* * *

غادروا المكان وقد انقسموا إلى مجموعتين . . . الأولى وتضم المفتش وزوجته ومعهما ليلى . . . والثانية تقدمها سرور بردائه المزركش الزاهي الألوان ، يتبعه فينو الذي كان يسير في كل اتجاه حول المجموعة ، وإن كان اهتمامه الأساسي حماية سرور من فضول المارة . . . أما فصيح ، فقد شغل موقعه المفضل على كتف خالد الذي كان يتوسط كلاً من وليد وعصام . . . أثناء ذلك ، كانت أحاديث هامسة تدور بينهم ، إلى أن تساءل وليد بصوت مسموع ، فقال :

ـ بماذا تفسر تصرف فينو يا خالد ؟ . . . ألست توافق أن عمي شك في الأمر ؟ وإلاَّ لماذا أسرع محاولاً اللحاق بالرجل ؟ . . .

التفت خالد ناحية وليد وقال نافياً صحة هذا الافتراض :

ـ لا يا وليد . . . لا أظن هذا . . . إن بابا يجهل من يكون هذا الغريب ، ونحن نعلم أنه لا ينسى وجهاً رآه ولو مرة واحدة ، فما بالك لو كان الرجل من الأشقياء ممن صادفهم في إحدى قضاياه ؟ . . .

كان عصام يتابع الحوار ، فتدخل قائلاً :

ـ ما سر غضب فينو إذن ؟ . . . إن فينو لا يخطىء كما نعلم . . . فحاسة الشم عنده ممتازة ، ولا ينسى رائحة اشتمها ولو بعد حين . . .

اضطر عصام أن يسكت عن متابعة حديثه ، فقد وصلوا إلى مدخل صالة العرض ، وها هو المفتش مع مرافقيه يقفون بانتظار وصولهم . . . كانت في واجهة الصالة سيارة بيضاء استهوتهم ، ولكنهم فكروا باستحالة الحصول عليها ، فقد وضعت عليها بطاقة كتب عليها بخط عريض واضح كلمة «مباعة» . . .

عقدت الدهشة ألسنتهم عندما سمعوا صوت المفتش يسألهم :

ـ ما رأيكم بهذه السيارة ؟ . . . . جميلة ؟ أليس كذلك ؟؟ . . . .

أمعنوا النظر إلى السيارة المتوقفة أمامهم ، وكانت الحسرة من عدم الحصول عليها توازي إعجابهم بفخامتها وحب اقتناء مثيلتها . . . ، فقال خالد بأسف :

ـ لا شك أنها سيارة باهظة الثمن ؟ . . .

قاطعه عصام ليقول بحسرة ظاهرة من كلماته وهزه لرأسه :

ـ وإن كانت رخيصة الثمن . . . . ما الفائدة ؟ فهي مباعة . . .

نظر المفتش إلى زوجته وغمز لها بعينه وهز رأسه ليقول لهم :

ـ صحيح ؟ مباعة ؟! ولكن لمن يا ترى ؟ . . .

كانت كلماته تحمل معنى معيناً . . . فالتفت الجميع إليه وجحظت عيونهم وهم يحملقون في وجهه مستغربين حديثه ، مما دفع خالداً لأن يهتف :

ـ بابا . . . . هل هي ؟ . . . هل هي سيارتنا ؟ . . . .

أجابه بهدوء . . . . :

ـ نعم . . . إنها بذاتها . . .

عصفت بهم موجة من الفرح الغامر ، ولم ينتبهوا كيف أصبحوا داخل الصالة ، بجوار السيارة يدورون حولها من كل جانب . . . كانت السيدة سعاد ترقب تصرفاتهم بفرح ظاهر ، ولحقت بهم مع المفتش جميل وكانوا منشغلين عنها بالنظر إلى السيارة ، إلى كل شيء فيها . . . مما دفع السيدة إلى القول :

ـ جميل . . . كدت تذهب بعقولهم بهذه المفاجأة . . . ما أجملهم والفرحة تغمر كيانهم ؟ . . . سبحانك يا رب . . .

في الجانب الآخر من الطريق كانت قوى الشر ترقب ما يجري في الصالة ، فقد كان الريّس حمّاد بين ربيع وعبد الفتاح يراقبهم بقلق ويأس . . . يشاركه فيهما زميلاه الشريران . . . فقال ربيع بخوف :

ـ ماذا لو تأخروا بالعودة . . . الوقت يمر وقد تنفجر السيارة دون أن تنال منهم ؟ . . .

نظر حماد إلى ساعة معصمه ، وقال :

ـ لا زال أمامهم ساعة وربع تقريباً ، ولا أظنهم سيمكثون في الصالة كل هذه المدة فقد قارب وقت الإقفال . . .

استبد الخوف بعبد الفتاح ، فاقترب من الريس حمّاد وقال :

ـ أرى أن نبتعد عن مسرح الجريمة ، بل عن المنطقة كلها ، حتى

ينتهي كل شيء . . .

أجابه الريّس حمّاد على الفور :

ـ معك حق . . . لنذهب إلى ساحة الاحتفال ، هناك ازدحام الناس شديد ويصعب على الانسان التعرف على أقرب الناس إليه . . . .

وافق ربيع على رأيهما بقوله :

ـ فلنذهب إذن . . . لم الانتظار ؟؟

تلفت حمّاد حوله بحذر وقال :

ـ سنذهب متفرقين . . . سيكون لقاؤنا في المكان المتفق عليه في الساحة .

* * *



سيارة جديدة

أنهى المفتش إجراءات الشراء ، وتسلم أوراق السيارة ، ثم غادر مكتب مدير المبيعات وتوجه إلى حيث ينتظره الأولاد . . . انحنى يقبلهم فرداً فرداً بحنان الأب مهنئاً ومبارِكاً . . . ولم ينس أن يشجعهم على المحافظة عليها ، فقال :

ـ أعدكم . . . إن حافظتم عليها ، وراعيتم تعليمات الشركة لصيانتها ، ولم تسجلوا مخالفة مرور أو إلى ما هنالك من قلة إحترام لقوانين السير . . . أعدكم أن أبدلها لكم بسيارة من طراز أحدث في العام القادم . . .

ابتسم مدير الصالة الذي كان يرافقهم وقال :

ـ خصوصاً وأن المصنع بصدد إنتاج سيارة جديدة رائعة للغاية . . .

بادله خالد ابتسامته وأجابه بمكر ودهاء :

ـ إذن يمكن لحضرتك حجز أول سيارة من الطراز الموعود لنا ، وموعدنا العام القادم باذن الله . . . في مثل هذا اليوم يوم الاحتفال السنوي بالربيع .

قهقه المفتش وهو يسمع هذا التحدي ، وقال بفرح وزهو :

ـ وأنا على استعداد للحضور معك في هذا التاريخ إن كنت ستنفذ كل ما طلبته منكم . . .

تعالت صيحات التأييد ، واختلطت أصواتهم إلى درجة لم يعد معها كلامهم مفهوماً . . . فقالت ليلى :

ـ وهل سأسمح لهم بقيادتها إلا ببطء ؟ . . . إنه عرض مغرٍ جداً يا عمي ، ولسنا بلهاء كي ننسى وعدك لنا . . . لا حوادث . . . لا مخالفات مرور . . .

قالت السيدة سعاد مشجعة :

ـ وأنا مطمئنة للنتيجة طالما أن المراقب ليلى . . .

والتفتت السيدة سعاد إلى زوجها وقالت متابعة حديثها :

ـ ألا ترى أنه من الأفضل إجراء اتصال هاتفي بوالدك تخبره فيه أننا وصلنا إلى مكان الاحتفال .

كان خالد منهمكاً بتأمل مفاتيح السيارة الجديدة ، البراقة ، بفرح شديد واتجهوا نحوها من جديد لإلقاء نظرة الوداع المؤقت عليها . . . فيجب أن يذهبوا بها ، في الصباح إلى قلم المرور في دائرة السير ، لتسجيل اللوحات المعدنية التي تحمل رقم السيارة . . .

تم الاتصال بين المفتش جميل ووالده الذي فرح بخبر وصولهم واستلام السيارة فرحاً شديداً ، ووعد باللحاق بهم إلى مكان الاحتفال واتفقا على مكان اللقاء بعد حوالي نصف الساعة . . وضع المفتش مسرة الهاتف (السماعة) في مكانها واستدار للحاق بباقي أفراد الأسـرة وهو يقول :

ـ الحمد الله يبدو أنه نسي إخلافي معه في الموعد المضروب سابقاً . . .

وصل المفتش إلى حيث يقف الجميع ، فالتفت إلى السيدة زوجته ليقول وهم يغادرون الصالة :

ـ يجب أن نبقى قريبين بعضنا من بعض حتى لا نضطر لقضاء الوقت يُفتش بعضنا عن بعض في زحمة الناس . . . خاصة وأن الازدحام شديد هذا العام . . .

أجابته السيدة سعاد :

ـ ولماذا نفترق ؟ سنسير معاً للفرجة حتى يصل جدهم . . . وبعدها نحدد خط سيرنا ونخطط لقضاء الوقت معاً . . .

هز المفتش رأسه ، وقال بلهجة محببة :

ـ ما من قوة في الأرض تتمكن من انتزاع السلطة منه . . . سيتولى بنفسه القيادة وإصدار الأوامر والويل . . . الويل لمن يعصي أوامره . . .

قرروا عدم استعمال سيارتيهم وهم يقصدون مكان الاحتفال خصوصاً وأن مكانها جيد في باحة المطعم إضافة إلى قرب المكان المقصود وشدة الازدحام . . . وأثناء العودة عرجوا قربها يتفقدانها ، وتابعوا سيرهم باتجاه باحة المسجد . . . ولكن ما حدث كان غريباً . . . أفلت فينو من قبضة خالد وعاد أدراجه يعدو باتجاه السيارة . . . تشمم الأرض من حولها وأخذ يدور كالمسعور ، ثم انبطح ودخل تحتها ، وزحف ،

وأخذ ينبح نباحاً غاضباً ، وسط ذهول الباقين الذين تبعوه دهشين ؟ فقال المفتش متسائلاً ، وهو يلحق بخالد وعصام ووليد ، يرافقه كل من ليلى وزوجته :

ـ ماذا أصابه اليوم ؟ . . . أسرع يا خالد وانظر ماذا وجد . . . فلربما تكون قطة لاذت بالظل تحت السيارة . . .

أسرع خالد ، امتثالاً لأمر والده ، وهتف ينادي فينو الذي لم يستجب لندائه ، واستمر يطلق نباحه الغاضب . . . وكرر خالد الهتاف وانضم إليه عصام ، إلا أن فينو بقي قابعاً مكانه تحت السيارة ينظر إلى مكان محدد فيها ، وصوت نباحه يزداد أكثر فأكثر . . . فالتفت عصام إلى خالد وسأله :

ـ ماذا به ؟ . . .

أجابه خالد وهو يحاول الانحناء ليرى ماذا هناك ، في أسفل السيارة .

ـ لست أدري ماذا دهاه اليوم ؟ . . . دعِنا نلقِ نظرة . . .

ماكان يستقر في وضع يسمح له برؤية أسفل السيارة ، حتى هب مذعوراً وقد جحظت عيناه ، وتملكه خوف ورعب شديدان ، فقد رأى جسماً يتدلى من السيارة . أعاد النظر مرة أخرى وقال وهو يرفع رأسه :

ـ يا إلهي . . . عصام . . . إنها شحنة ناسفة ؟!!

لم ينتظر وصول والده ، ولم يبال بملابسه الجديدة ، فاندفع تحت

السيارة وبحذر شديد ، تمكن على هدى إرشادات والده في مواقف مشابهة ، من فصل العبوة الناسفة عن جهاز التوقيت المفجر ، وقطع الأسلاك الموصولة به . . . كل هذا وفينو لم يفارقه لحظة ، وعصام يرقبه عن قرب ليطمئن على سلامة العمل . . .

من بعيد ، كان المفتش والباقون ينظرون إلى ما يجري دون معرفة الحقيقة ، مما دفع المفتش إلى القول ، وهو ينظر إلى زوجته ، وأمارات اللوم والغضب تغلف تصرفاته وكلماته .

ـ أنظري ماذا فعل هذا الشيطان . . . كيف سيسير في زحمة الناس بثيابه التي لطخها بالوحل والشحم . . .

سكت عن الكلام ، وتسمرت عيناه بما شاهده في يد خالد الخارج من تحت السيارة . . . وهمهم ببعض كلمات لم تفهمها السيدة سعاد ، وانطلق يعدو باتجاه خالد . . . ولما تأكد من حقيقة الجسم المحمول نظر إلى خالد بغضب وقال :

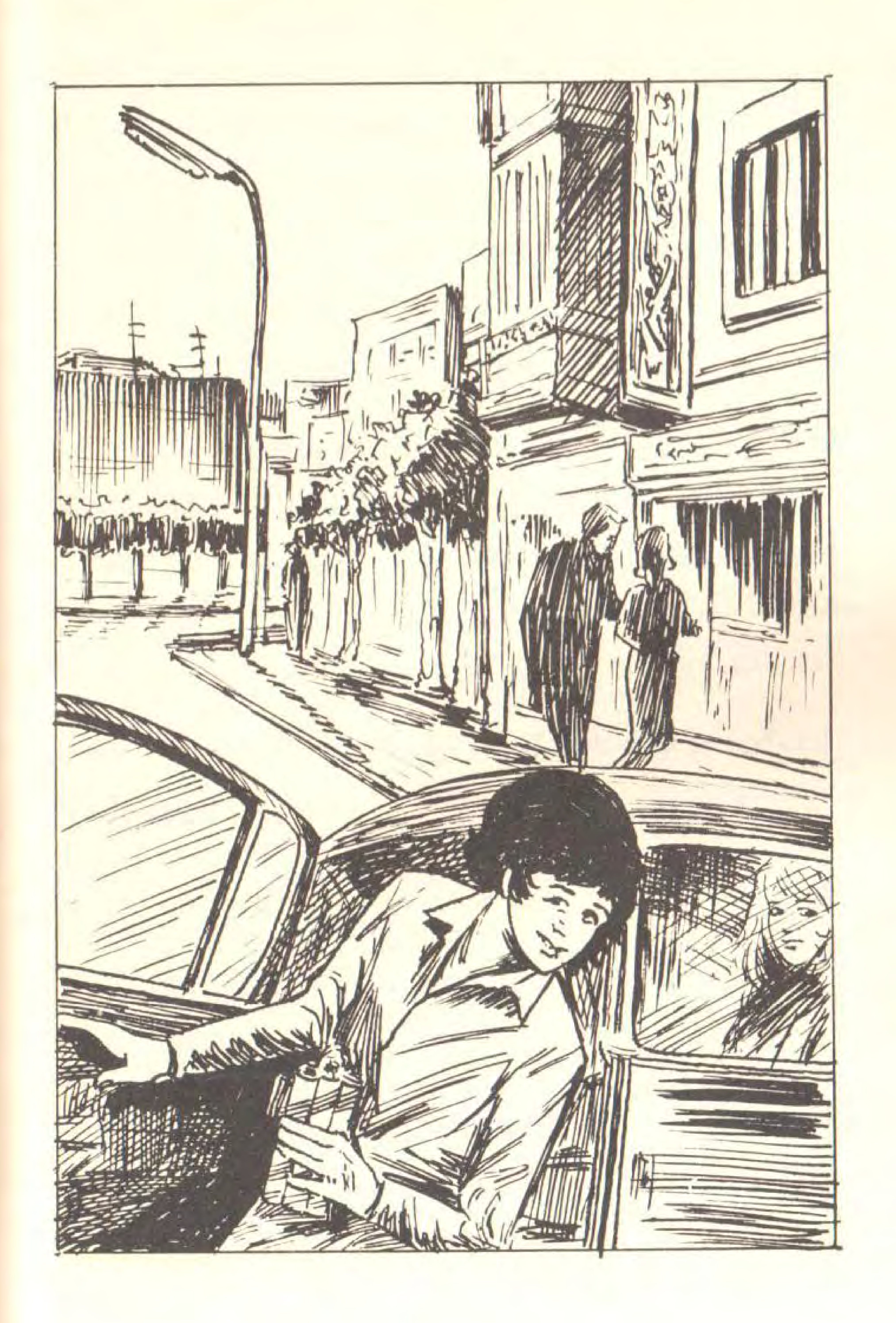
ـ حذار أن تسقط منك ؟ . . . أعطني أياها . . .

مد خالد يده إلى والده يناوله الشحنة ، وهو يقول :

ـ لقد انتزعت منها جهاز التفجير المؤقت . . .

وعاد من جديد يزحف تحت السيارة ، دون أن ينتظر جواب والده ، . . . وبعد برهة عاد وهو يحمل جهاز التفجير في يده . . .

تراخت أعصاب المفتش المشدودة قلقاً على ولده مما كان سيحصل . . . وأخذ يقلب العبوة في يده ليتأكد أن العمل سليم وأن لا



خطر منها بعد الآن ، فتنهد بغيظ وقال :

ـ خالد ! . . . أسرع إلى سيارتك وأحضرها إلى هنا . . .

انضم الباقون إلى المفتش وعصام ، وما أن وقع بصرهم على ما يحمله ، وينظر إليه بغضب ، حتى بهتوا ، وجحظت عيونهم رعباً ، فهتفت السيدة سعاد بخوف شديد :

ـ يا إلهي ؟ . . . ما هذا يا جميل ؟؟ . . .

أجابها المفتش ، وكلماته تضج بالغضب العارم :

ـ كما ترين ! . . . عبوة ناسفة مزودة بجهاز تفجير مؤقت . . .

ازدردت لعابها بصعوبة بالغة ، فقد تخيلت نتيجة هذا العمل الإجرامي الخسيس ، وأحست بدوار خفيف يكاد يعصف بكيانها ، ولكنها تمالكت نفسها وعادت تسأل :

ـ وأين عثرت عليها ؟ . . .

كان المفتش منهمكاً في فحص العبوة وجهازها ، فلم ينتبه لسؤال زوجته ، لكنه بعد هنيهة تمتم بصوت مسموع قائلاً :

ـ كان موعد انفجارها تمام الثالثة . . . أي بعد حوالي نصف ساعة من الآن . . .

سألته السيدة سعاد بعصبية وحدة :

ـ تعني أنها كانت ستنفجر ؟ . . .

نظر إليها بشرود ، ولسان حاله يحمد الله على نجاتهم من اليد الأثيمة وإجرامها ، وأخذ ينظر في وجوههم جميعاً وكأنه يراهم للمرة الأولى ،

وشرد بعيداً يفكر فيما عساه يحصل لو تم ما خطط له المجرمون السفلة ، وقال بهدوء :

ـ نعم . . . كانت ستنفجر . . . ولو انفجرت لنسفت السيارة وأطارت من فيها في أماكن لا تخطر على بال مخلوق . . . إنها عبوة كبيرة ومفعولها قوي . . . .

توقف المفتش عن الكلام ، فقد انهارت السيدة سعاد أمام ناظريه وهي تسمع تفاصيل ما قد يحدث لو انفجرت العبوة . . . اقترب منها عصام وأمسكها من يمناها فيما كانت ليلى تحاول تمالك نفسها وتمسك السيدة سعاد ، من يسراها . . . وقال :

ـ الحمد لله . . . لقد تم اكتشافها وتعطيل مفعولها قبل فوات الأوان . . .

كان فينو يُرقص ذيله وهو يقترب من المفتش جميل الذي مد يده يربت فيها على رأس فينو وكأنه يشكره على ما قام به ، ونظر إلى الباقين وقال :

ـ إننا مدينون بحياتنا لفينو . . . فلولا قوة حاسة الشم عنده لما اكتشفنا وجود العبوة . . .

ومرة أخرى توقف المفتش عن الكلام ، فقد وصل خالد بسيارته ، فنظر المفتش نحوه وقال :

ـ إذهب برفقة والدتك وليلى إلى منزل جدك . . . أوصلهما وعد سريعاً . . . ستجدني في مديرية الأمن . . .

حاولت ليلى الاعتراض على هذا القرار ، فهي تريد أن يكون لها نصيب في تحمل المسؤولية . . . إنها فرد من أفراد المجموعة . . . لكن المفتش لم يتح لها فرصة لإبداء رأيها ، أو حتى التفوه بكلمة إذ قال متابعاً :

ـ إن الأمر أكبر من أن أُعَرِّضَ النساء لمخاطرة . . . خذ معك كلاً من فصيح وفينو كذلك . . . بعد الإجراءات اللازمة سنلحق بكما . . . أرجو أن تلحقوا بأبي قبل مغادرة المنزل . . .

قال خالد وهو يجلس خلف مقود السيارة ، ويهم بفتح الباب الآخر لتدخل والدته وليلى . . .

ـ في الغالب سنصادفه في الطريق قادماً إلينا . . .

كان المفتش يريد الجميع إلى جانبه ، لذلك قال لخالد :

ـ حسناً . . . في هذه الحالة إستوقفه وليعد مع والدتك وليلى إلى المنزل وعد أدراجك إلى هنا . . . فأنا بحاجة إليك وللسيارة كذلك . . .

انطلق خالد بالسيارة مغادراً المكان ، فالتفت المفتش جميل إلى عصام وقال ، وهو يناوله ورقة صغيرة :

ـ عصام . . . إليك برقم الهاتف هذا ، اتصل به واطلب من المفتش عبد الجواد موافاتي إلى هنا بأقصى سرعة ممكنة . . .

انطلق عصام بسرعة فائقة إلى أقرب محل بقالة في الجانب الآخر من

الشارع ، وقد غمره شعور بالسعادة لهذا التكليف من عمه المفتش جميل الذي نظر إلى وليد وقال له :

ـ وأنت يا وليد . . . ادخل إلى السيارة وابقَ بداخلها ريثما يحضر المفتش عبد الجواد . . . لن أتغيب طويلاً . . . أخبره بما جرى إذا لزم الأمر . . .

صرخ المفتش :

ـ فينو . . .

تشمم فينو الأرض من حوله ، ودار عدة دورات حول السيارة . واندفع بضع خطوات في اتجاه معين وهو لازال يتشمم الأرض ، ثم رفع رأسه ونبح نباحاً خاصاً أدرك المفتش منه أن الرائحة التي يتعقبها انقطعت . . . فعاد أدراجه إلى قرب السيارة في اللحظة التي تعالت في أرجاء المكان صفارات سيارات الشرطة قادمة من بعيد . . .

بعد لحظات يسيرة ، ترجل المفتش عبد الجواد من إحدى السيارات التي توقفت على مقربة من السيارة الملغومة ، وتقدم من المفتش جميل وحياه باحترام وود ظاهرين ، فبادره المفتش جميل بالقول مازحاً :

ـ هكذا نستقبل في الحفلات . . .

وناوله المفتش جميل العبوة الناسفة ، وتابع يقول مداعباً :

ـ لا شك أنه مزاح . . . أن تدس في سيارة مفتش في المباحث . . . أليس كذلك ؟؟ . . .

اكفهر وجه المفتش عبد الجواد ، ولم يشارك المفتش جميل مرحه ،

لكنه قال بغضب شديد :

ـ وهل وصلت بهم الحقارة والنذالة إلى هذا الحد ؟ . . . يا لهؤلاء الأوغاد !! . . .

كان المفتش عبد الجواد يتكلم وهو يقلب العبوة بين يديه . . . لكن المفتش جميل وفر عليه عناء طرح السؤال ، فبادره بالقول :

ـ لولا أن تنبه فينو لوجودها لانفجرت في موعدها . . والله وحده ، سبحانه، أعلم بما قد يحصل !! . . . .

وجم المفتش عبد الجواد ، ونظر ملياً إلى العبوة في يده وظهر كأنه لم يسمع كلام زميله المفتش جميل ، لكنه بعد صمت طويل قال :

ـ الاشرار . . انتهزوا مناسبة ازدحام المكان بعدد كبير من الزائرين ليقوموا بعملهم الإجرامي القذر ؟ . . .

كان المفتش جميل شارداً هو الآخر يفكر بمن عساه يقدم على عمل بهذه القذارة . . . ينقل بصره في كل اتجاه عساه يلمح أحداً ممن التقاهم في إحدى القضايا . . . ولكن . . . دون جدوى . . . لم ينتبه إلا على قول المفتش عبد الجواد يسأله :

ـ هل لدى سيدي المفتش فكرة أو شك فيمن يكون الجاني ؟؟

ارتسمت على وجه المفتش جميل ابتسامة ذات معنى وقال :

ـ بالطبع لا يا عبد الجواد . . . وما حصل كان مفاجأة لنا جميعاً . . .

فلم أصادف في هذا المكان أحداً أعرفه من قبل . . .

لزم المفتش عبد الجواد الصمت مكتفياً بما يدلي به المفتش جميل من معلومات حول كل ما حصل . . . وهو يتابع :

ـ أتصور أن المحاولة تمت على الوجه التالي : . . . بينما كنا نتناول طعام الغداء في المطعم المجاور وقد تركنا سيارتينا في مكانين متباعدين نسبياً . . . مر الجناة وشاهدوا السيارة ، ولا شك أنها معروفة لديهم ، فكروا في هذه اللحظة بالقيام بعملهم القذر هذا . . .

وسكت برهة . ثم نظر إلى المفتش عبد الجواد وقال كمن يتذكر شيئاً ، وإن كان في نيته أن يشاركه المفتش عبد الجواد استنتاجه :

ـ ألا تعتقد معي أن الجاني يحاول الانتقام مني . . . وإلاَّ ما سبب اختياره لسيارتي . . . أنا شبه متأكد أنه سبق لي اللقاء به . . .

وعن بعد ، شاهد المفتش جميل خالداً يعود من مشواره ، فقال :

ـ ها قد عاد خالد لاستكمال التحقيق وأخذ أقواله ، فهو الذي نزع العبوة بعد أن عطل مفعولها . . .

كانت نظرات المفتش إلى الفتى خالد تحمل معاني الإكبار والإعجاب ، ولكن الحديث لم يستمر طويلاً ، فقد انتقل الجميع إلى العمل ، فتمت معاينة المكان ، وقام بعض رجال الشرطة بالكشف على السيارة ، وبعد الانتهاء من ذلك تحرك المفتش عبد الجواد مع رجاله عائداً إلى مركزه ، فيما كان المفتش جميل يقول له :

- سألحق بكم إلى مديرية الأمن . . .

التفت المفتش إلى خالد وقال :

- ها قد عدت سريعاً . . . يبدو أن اللقاء تم في الطريق . . .

أجابه خالد :

- نعم . . . التقينا بجدي على مسافة قريبة من الضيعة مما سهل علينا إقناعه بالعودة . . .

كان الانفعال مسيطراً على تصرفات المفتش من جرّاء ما حدث ، وآثار الغضب مرتسمة على قسمات وجهه عندما سأل خالداً :

- طبعاً ، لم يقتنع بسهولة ؟ . . . لا شك أنه غضب لهذا القرار المفاجىء ؟ . . .

ابتسم خالد وقال :

- بل أصرَّ على المجيء برفقتي لولا تدخل والدتي بالأمر وإقناعه بالبقاء إلى جانبها ، فهي بغاية الشوق للجلوس إليه والتحدث معه . . . فقد طال انتظار هذه الفرصة . . . .

اطمأن المفتش إلى ما حصل في الضيعة ، فطلب من أفراد المجموعة القيام بما يرغبون به قائلاً :

- لا بأس . . . اما الآن فيمكنكم التجوال في ساحة الاحتفالات كما يحلو لكم . . . دعوا السيارة في مكانها فالازدحام شديد . . . ولكن كونوا حذرين !! . . . فإنني لن أحاول منعكم من القيام بأي عمل ترونه

مناسباً . . . . على شرط . . . انتبهوا جيداً !! . . . .

حاول خالد إبداء رأي معارض ، فنظر إلى والده وقال بتردد :

- بابا ؟ . . . و

وسكت ، فنظر إليه المفتش بحنان وتشجيع على الكلام ، ولكنه احتفظ بالصمت ، فسأله والده :

- ماذا ؟ . . . هل ترغب في شيء يا خالد ؟ . . .

هز رأسه بالنفي ، وأردف قائلاً :

- لا يا بابا . . . ولكن . . . هل بالإمكان مرافقتك لحضور التحقيق ؟؟ . . .

أجابه المفتش بهدوء من يرغب السلامة والأمن لأولاده بالقول :

- يا خالد . . . إذهبوا أنتم وتجولوا في ساحة الاحتفال ، وتظاهروا بأن شيئاً لم يحدث قط . . . فليس من المنطقي أن نذهب إلى مديرية الأمن يرافقنا فينو ! . . . أليس كذلك ؟ . . .

كان المفتش يتكلم بلهجة مرحة محببة أقنعت خالداً الذي سأله :

- وأين سنلتقي إذن ؟ . . .

نظر المفتش إلى الساعة في معصمه وقال :

- هنا . . . حوالي الساعة السادسة . . . لديكم متسع من الوقت لمشاهدة أنواع الألعاب التي تقدم في مناسبة كهذه . . . .

انصرف المفتش بسيارته ، وظل الثلاثة في مكانهم لحظات يخيم

عليهم الصمت ، بينما كان فينو يدور حولهم ينظر في كل فرد منهم على حدة ، وكأنه يطلب شيئاً ، وفجأة ارتفعت أصواتهم بالحديث في وقت واحد ، لم يفهموا معه ماذا قيل . . . فانفجروا ضاحكين . . . بعدها قال خالد :

ـ أعلم أن حب الاستطلاع لديكم يكاد يكون أقوى من العبوة الناسفة . . .

أجابه وليد بغضب بعد صمت طويل :

ـ خالد ! . . . إنك تمزح ولا شك . . . أقسم لو وقعت يدي على ذلك المجرم لما خلصه منها إلا ملك الموت . . . عزرائيل . . .

كان خالد يحتفظ بهدوء أعصابه ، فهو يفكر بمهمة يجب إنجازها ، فقال ينهي الحديث في هذا الموضوع :

ـ فلنذهب . . . وأثناء الطريق نكمل الحديث . . .

ظل عصام في مكانه ، فيما تحرك الآخران ، ولكنهما توقفا واستدارا نحوه وهو يقول :

ـ أمر غريب ! . . .

سكت عصام . . . فيما سأله خالد بلهفة ؟ . . .

ـ ماذا ؟ . . . هل شاهدت شيئاً ؟ . . .

أجابه عصام ببرود :

ـ أعني ما حدث هذا اليوم . . أهكذا . . وفي وضح النهار ،

والمكان مكتظ بالرواد يقدمون على فعلتهم النكراء ؟؟ . . . يا لهم من أوغاد ! . . .

قال وليد متمماً كلام عصام :

ـ والأدهى من ذلك أنهم أوشكوا على تحقيق مرادهم بنسفنا . . .

ربت خالد على رأس فينو ورقبته وقال :

ـ صحيح . . . ولولا هذا البطل لكنا الآن في خبر كان . . . .

سكت خالد برهة أطرق خلالها يفكر ، وقرر إشراكهم بما يدور في خلده ، فقال :

ـ في الواقع إن ما أفكر فيه الآن هو . . . هل من ارتباط بين ما حدث اليوم في المطعم ، وبين هذه المحاولة ؟ . . .

أجابه عصام :

ـ أمر محتمل . . لولا تمكن فينو من الاحتفاظ برائحة الرجل لما التقطها على النحو الذي حدث عندما هاجمه في المطعم ، وكذلك حدث نفس الاندفاع نحو السيارة . . . .

بدا الارتياح على وجه خالد ، فقد استطاع استثارة تفكيرهم لربط الأمور ، وتحليل ما حدث بصورة سليمة ، فما لبث أن قال :

ـ ما تقوله معقول يا عصام . . . ولكن من هو ذلك الرجل المجرم يا ترى ؟ . . .

* * *

خطة وليد

تابعوا الحديث وهم سائرون باتجاه الساحة الواسعة المزدحمة بالرواد ، ففي كل ركن فيها ألعاب تقدم ومحلات تعرض البضائع المختلفة إلى جانب المقاهي والمقاصف المختلفة . . . شغلت المناظر الجديدة تفكيرهم عما كانوا يتحدثون فيه ، وتناسوا الموت الذي كان محدقاً بهم منذ ساعة ، فاندفعوا يشبعون رغبتهم في ممارسة الألعاب المختلفة . . . التفت عصام ناحية اليسار ، وقال :

ـ ها هو الصياد الأرمني . . . يبدو أنه أحضر بنادق جديدة لهذا الموسم . . .

اندفع وليد باتجاهه على الفور وهو يقول :

ـ فلنجربها إذن . . .

تبعاه بخطى حثيثة ، وقد بهرهم منظر المكان المتجدد ، وأنواع الهدايا التي يعرضها مكافأة لأحسن رامٍ . . . قام يرحب بهم عندما لمحهم متجهين نحوه ، فهو يعرفهم منذ سنوات . . . فقال مرحباً :

ـ أخلاً وسخلاً . . .

انفجر وليد ضاحكاً ، فهو اعتاد المزاح معه . لذلك قال له :

ـ يا خواجه متى ستتعلم العربية ؟ . . أهلاً وسهلاً بالهاء ، وليس أخلاً وسخلاً . . .

ابتسم الأرمني الكهل ، وقال :

ـ المخم . . . أنتو بيفهم . .

انفجروا جميعاً ضاحكين ، فمد عصام يده وتناول بندقية وقلبها محاولاً التعرف إليها عن كثب وقال :

ـ يبدو أنها من طراز جديد . . . فهل هي جيدة ؟؟ . .

أجابه الكهل على الفور :

ـ كويس كثير . . . كويس . . كمان . . . امسكتوا هدايا لوكس . . .

وأشار بيده إلى رفوف تكدست فوقها الهدايا وعلى كل منها رقم يشير إلى عدد الإصابات الواجب إحرازها للحصول على الهدية . . . اختار عصام من بينها دمية لقرد من نوع الشامبانزي وقال :

ـ لقد اخترت هذا القرد . . . هيا نبدأ . . .

ابتسم الأرمني وقال :

ـ علشان امسكتو لازم كسبتو ميه . . .

أجابه عصام بثقة :

ـ أعرف . . . وسأناله حتماً . . . أعطني علبة خردق لو سمحت . . .

أعطاه ما طلب والتفت إلى وليد وسأله :

ـ وأنتي ؟؟ . .

ضحك وليد بحرج وقال :

- ألا يكفي واحد منا ؟ فالربح لنا مضمون . . .

ضحك الارمني الكهل وهز رأسه وأشار بيده بالنفي ، مما دفع وليداً للقول :

- أنا لست طماعاً على أي حال . . . سأكتفي بهذه الببغاء الجميلة . . .

نظر الأرمني الى الرقم المطلوب وقلب شفتيه باشمئزاز وتساءل :

- أربغين . . . بس أربغين . . .

لم يمهله خالد ليطرح السؤال عليه ، بل ضحك وقال له :

- أعطني بندقية وعلبة خردق . . .

دون مناقشة امتدت يد العجوز لتناول خالداً ما طلب وانتظر منه إبلاغه عن الهدية التي اختارها ، لكن خالداً باشر بالتصويب والضرب دون تحديد لنوع الهدية ، فلم يسع الأرمني إلاّ أن يسأله :

- وانتى ؟ . . . إمسكتو أي هديه ؟ . . .

استمر خالد يوجه الإصابات المباشرة نحو الهدف ، قبل أن يجيب العجوز عن سؤاله ، فقد فجر أكثر من خمس طابات ، هي الأهداف المرصوصة على بعد نحو ستة أمتار منه . . . وبعد الاصابة السادسة ضاق به الأرمني الكهل ذرعاً فصرخ :

- إيخ ده خبيبي ؟؟ . . . كله مضبوط ؟ مضبوط . . . ما فيش واحد برّه ؟؟ . .

ضحكوا من عبارته التي اعتادوا سماعها في سنوات سابقة ، وجلبت أصوات انفجار الكرات المتتالية والمكثفة أنظار الكثيرين فقصدوا لعبة

الارمني للفرجة واللعب ، وقد أخذهم منظر ثلاثة رماة ماهرين أمامهم . . .

لم تستمر لعبتهم كثيراً ، فقد تناهى الى أسماعهم صوت مزمار غريب ، غير مألوف لهم ، يطغى على سواه من أصوات وضجيج ، يرافقه صوت ينادي بقوة :

- هلموا إليّ . . هنا المعجزة الكبرى . . أسرعوا قبل بدء العرض . . . الساحر العظيم . . . والأفاعي المرعبة . . . شاهدوا حيات الساحر العظيم . . . بختار الهندي يقدم لكم أعجب الألعاب . . . أفاعيه ترقص وتصارع . . . الألعاب الغريبة . . . فرصة العمر . . .

واستمر الصوت ينادي بعبارات يتابعها الجميع ، وكلها تحض على مشاهدة أعظم ساحر في نظر المرافق طبعاً . . .

كان الهندي يجلس غير بعيد عن مكان الأرمني العجوز الذي وضع إصبعيه في أذنيه محتجاً ، وأخذ يتمتم بصوت مسموع تنضح عبارته بسخط كبير :

- خيات أرقص ؟ . . خيات إلغب بوكس . . خوّه إيخ ده . . .

فهقهوا ضاحكين ، ولكن وليداً كان يحب مشاكسة الكهل الأرمني لذلك قال :

- يا خواجه . . . اسمها حيات مش خيات . . ثم لم نسمع الرجل يقول بأنها تلعب بوكس . . .

أجابه الأرمني العجوز ساخراً :

- غدم المواخذة . . . هو تكلم برقص جيرك . . .

استمروا بتسديد الضربات الصائبة ، وكلها تحرز أهدافاً محققة ، وفي غمرة سرورهم لم ينتبهوا لمغادرة فينو المكان . . . فكانت أرصدتهم تتزايد مع تحقيق إصابات مباشرة ، . . وفجأة كف خالد عن اللعب وأصاخ السمع . . . وهتف :

- إنه صوت نباح فينو . . أين هو ؟ . .

تلفت حوله بذعر فلم يعثر له على أثر ، فقد كان مصدر الصوت بعيداً . . . وضع بندقيته جانباً ، فيما استمر عصام ووليد باكمال اللعب بعد أن نظرا إليه وأومأ كل منهما برأسه موافقاً عندما قال لهما :

- سأذهب لإحضاره . .

تتبع خالد مصدر الصوت المنبعث من الجهة الأخرى حيث تجمهر الناس لمشاهدة مروّض الحيات الهندي يجلس القرفصاء وقد أمسك بكلتا يديه مزماراً خاصاً ينفخ فيه ، وأمامه انتصبت أفعى ضخمة من نوع الكوبرا ترفع رأسها وجزءاً من جزعها وأخذت تتمايل مع اللحن الرتيب . . .

كان فينو يتابع نباحه وبشراسة فاقترب منه خالد فيما كان بعضهم يحاول طرده ، لف يده حول رقبته بحنان وأمسك به ، فقال أحد المشاهدين :

- هل هو كلبك ؟ ابتعد به من هنا . . . فقد كادت إحدى الأفاعي أن



تفتك به . . .

نظر إليه خالد باستغراب واستولى عليه شعور غريب ، فسأله :

ـ وهل هاجم الأفعى ؟ . . يا له من متهور مجنون ؟ . . .

أجابه آخر :

ـ لا أيها الفتى . . بل هاجم صاحبها الهندي هذا . . .

وأشار بيده ناحية المروِّض الذي كان يراقب تحركات فينو بحذر وخوف . . والتقت عينا خالد بعيني الهندي ، فخيل لخالد أن عيني الرجل اختلجتا بذعر لرؤياه . . . وبصعوبة بالغة استطاع السيطرة على فينو الثائر وعاد به الى محل الرماية لينضم إلى رفيقيه . . . كان كل منهما جاداً بتحقيق الرقم المطلوب للحصول على الهدية ، ولما حضر خالد نظر إليه وليد وقال :

ـ أين وجدته ؟؟ . . .

رماه خالد بنظرة تعكس مخاوفه وأفكاره ، وقال :

ـ وليد . . . يبدو أننا في سبيلنا إلى حدث كبير . . . أتركا البنادق الآن . . .

نظر عصام إليهما والقى البندقية دون سؤال ، ورغم عدد الإصابات التي أحرزاها ، إلا أنهما لم يكملا ما بدآه . . . فقد نقدوا صاحب المحل ثمن ما أطلقاه وانصرفا برفقة خالد الذي توقف بهما جانباً وقال باهتمام لما حدث :

ـ لقد هاجم فينو مروِّض الحيات الهندي . . .

جحظت عيونهما دهشة واستغراباً ، فسأله عصام :

ـ مروض الحيات ؟ وما شأنه به ؟ . . . لماذا هاجمه ؟ . . .

تدخل وليد ليحاول تفسير الحدث ، فقال :

ـ ربما أثاره منظر الأفاعي فهاجمها . . .

هز خالد رأسه بالنفي وقال بلهجة جازمة :

ـ لا . . . بل هاجم المروِّض ، لأنه من يقصده . . .

فغر وليد فاه ببلاهة وسأله :

ـ وما صلة مروِّض الحيات الهندي بفينو حتى يهاجمه ؟ . . . هل صادف هندياً آذاه فأثاره منظر الهندي هذا ؟؟ . .

تأمله خالد وشرد بذهنه بعيداً قبل أن يقول بهدوء :

ـ هذا . . . إن كان هندياً حقاً ؟؟ . . .

كان عصام يتابع الحوار أمامه لذلك سأله :

ـ تعني أنه ليس هندياً . . . بل تنكر بزي الهنود ؟؟ . . .

استغرب وليد هذا الاستنتاج فقال :

ـ ما هذه الألغاز المتلاحقة في هذا النهار ؟ . . . رجل المطعم هو مروِّض الحيات الهندي ؟؟ . . .

أجابه خالد :

ـ وأعتقد أنه من حاول تفجير السيارة كذلك . . . في الحالتين الأولى والأخيرة كان فينو يهاجم بشراسة وكذلك كان غضبه أمام السيارة . . . فقد خيل إليّ أن فينو يريد القضاء عليه دون تردد . . .

استحوذ حديث خالد على اهتمامهما ، فكانا يتابعانه بانتباه ، فلما سكت قال وليد :

ـ هذا يدل ، حقيقة ، أن فينو احتك به من قبل . . .

أجابه خالد :

ـ ليس هذا فقط . . فأنا أعتقد أن هذا الرجل قد هاجم فينو أو حاول التعدي عليه بصورة ما . . . ولكن لا أدري إن كان هذا الأمر تم أثناء القيام بجولته الرياضية خارج المنزل أو . . . أو في إحدى المغامرات معنا . . .

وكان خالد متردداً في التصريح بما يفكر فيه ، فسكت برهة دفعت بعصام لأن يسأله :

ـ خالد ! . . أتريد أن تقول شيئاً ؟ . . .

أومأ خالد برأسه موافقاً وقال :

ـ خيل إلي حدوث أمر استرعى انتباهي وأثار اهتمامي . . .

سأله عصام بلهفة :

ـ وما هو ؟ . . . خالد . . لماذا لا تخبرنا بما تعرف ؟؟ . . .

حاول التخلص من إلحاح عصام ، فأغمض عينيه بضيق وهز رأسه ، ثم قال :

ـ وهل عرفت شيئاً حتى أخبركما به ؟؟ ألسنا معاً منذ الصباح ؟ من أين أحصل على المعلومات ؟ . . كل ما في الأمر مجرد ظنون وشكوك تمر في

خاطري ، بل تلح علي بالتفكير فيها . . . قد تكون صحيحة وقد لا تكون ؟ . . .

أجابه عصام بإصرار :

ـ ومع ذلك يجب أن تطلعنا عليها . . . ربما كنت محقاً في ظنونك وشكوكك . . من يدري . . . يجب أن نعرفها ونتداول بها . . .

انحلت عقدة لسان خالد فقال :

ـ عندما ذهبت للبحث عن فينو وانحنيت قربه ، بعد العثور عليه ، استرعى انتباهي منظر مروِّض الحيات . . . فقد خيل إلي أنه خائف . . . أحسست من نظرته إلي أنه خائف . . . ولكن ما السبب ؟ هذا ما أحاول إيجاد تفسير له . . .

ابتسم عصام ابتسامة عريضة وقال :

ـ أرأيت . . . إن ما قلته يستحق الاهتمام . . . إن كان ما تقوله عن خوف الرجل قد حدث فعلاً ، وليس تصوراً ، نكون أمام سؤال ترشدنا الإجابة عنه إلى معرفة الحقيقة . . . لماذا يخافك مروِّض الحيات سيما وأنه هندي ؟؟ . . .

هز خالد رأسه بحيرة ، ثم تابع سرد ما حدث ؛ فقال :

ـ بقي خائفاً حتى بعد أن أمسكت فينو . . . ألا تريا معي أن خوفه ليس بسبب هجوم فينو ؟؟ . .

فكرا برهة ؛ قال عصام ، على أثرها ، مقترحاً :

- لماذا لا نراقب هذا المروِّض ؟ . . . سنكتشف حقيقة إن كان هندياً أم لا . . وبعدها . . .

قاطعه وليد سائلاً :

- وكيف نتأكد من ذلك ؟؟ . .

ابتسم عصام وقال ، وقد أخرج منديله من جيب سرواله :

- بهذا . . .

ورفع يده بالمنديل أمامهما ، فنظرا إليه باستغراب ، فقال وليد :

- بهذا المنديل ؟؟ . . . كيف ؟؟ . .

قال عصام يوضح الخطة :

- سأحاول مسح وجهه ، أو أي مكان ظاهر من جسده . . . فإن كان هندياً بقي لونه ثابتاً ، وإلا يثبت زيف شخصيته وتنكره بهذا الزي . . .

سأله خالد :

- وكيف يتسنى لك القيام بهذا وهو بعيد عنك ولا يمكنك ، بالتالي ، الاقتراب من مكانه ؟؟ . . .

لزما الصمت ولم يجبه عصام ، ولكن وليداً قال :

- حقاً لقد جنح بكما الخيال ، بل ذهب بعيداً . . .

نظرا إليه ، يستغربان حديثه ، فيما أتم وليد كلامه فقال :

- لماذا هذه الحيرة ؟ لدي خطة أضمن وأسرع في التنفيذ . . .

سألاه بلهفة :

- أفصح . . . ما هي ؟ . . تكلم ؟! . .

أجابهما بهدوء وبساطة :

- إنها خطة سهلة التنفيذ . . . سأذهب إلى قربه وأقف خلفه مباشرة . . . وبدون تردد سأصرخ : « يا بوليس . . . يا بوليس » . . .

ذهلا من خطة وليد ، ففغر كل منهما فاه ، وبعدها انفجرا ضاحكين ووليد يتأمل تصرفاتهما ببرود شديد ، وقال بعد أن سكتا :

- هل انتهى الفاصل الهزلي الذي أضحككما ؟؟

أجابه عصام وقد شرع بالضحك من جديد ، فقال :

- وهل ينتهي مشهد كهذا سريعاً ؟ . . . هكذا ببساطة ؟ . . إنني كلما تخيلتك صارخاً تطلب النجدة أضحك من جديد . . .

وكان خالد يومىء إليه بسبابة يمناه ، ويحركها من تحت إلى فوق . . . وقال :

- كل هذه الضخامة ؟ . . وتطلب النجدة ؟؟ . . .

قال عصام مقاطعاً :

- دعنا نسمع أولاً . . . لماذا سينادي البوليس ؟؟ . . . هل ستطلب منه مساعدتك في الكشف عن حقيقة مروِّض الحيات ؟؟ . . .

غضب وليد من سخرية عصام وقال :

- ومن قال أنني سأستعين بهم ؟ . . . سأناديهم فقط ؟ . . .

دهش خالد من موقف وليد هذا ، وسأله :

ـ تناديهم ؟ . . . وماذا تقول لهم عند حضورهم ؟ . . . بماذا تجيب لو سألوك عن سبب الاستغاثة بهم ؟؟

ارتسمت على فم وليد ابتسامة عريضة ، ونفخ صدره بزهو وكبرياء وقال :

ـ كنتما تضحكان وتسخران من رأيي . . . أفصحا عن ذكائكما وأخبراني ماذا تقولان للبوليس . . وكيف يحقق أحدنا ما يريد من كشف حقيقة المروِّض . . .

كان سؤال وليد وحركاته مفاجأة لهما ، لم تخطر لهما على بال ، فتبادلا نظرات حائرة قال عصام على إثرها :

ـ لا أعرف ، . . .

وقلب شفتيه ويديه ، فنظر وليد إلى خالد ، وقد ازداد إعجابه بنفسه ، وسأله :

ـ وأنت يا خالد ؟ . . . بماذا تتعلل ؟؟ . . .

فكر خالد برهة ، نظر بعدها إلى وليد وقال :

ـ تدَّعي أنك نشلت أثناء مشاهدة العرض . . .

ذهل وليد من إجابة خالد ، فقد اعتقد أن ما يفكر فيه لا يستطيع أحد منهما التوصل إليه ، فقد ارتسمت آثار خيبته على ملامح وجهه الذي بدا مضحكاً ، ولاذ بالصمت ونظراته البلهاء تنتقل بين عصام

وخالد . . . نظر إليه خالد وسأله :

ـ ماذا دهاك ؟ لماذا تحملق في وجوهنا ولا تَنْبِسُ ببنت شفة ؟ . . هل فقدت لسانك ؟ . . .

تغلب وليد على الموقف ، وخرج من ذهوله وقال بأسلوب أقل غطرسة ، معجباً بما قاله خالد :

ـ لأن هذا فعلاً ما أنوي التعلل به !! . . .

تبدل ضحكهما إلى جدية ظاهرة ، واهتما للأمر أكثر من ذي قبل ، فسأله خالد :

ـ رائع يا وليد . . . وهل فكرت بتكملة الخطة ؟ . . . تكلم ما هي ؟ . . .

أعاد تشجيع خالد لوليد ثقته بصواب فكرته ، فهتف :

ـ بالطبع . . . بعد الادعاء بأنني نشلت سيكون الشك مصوباً لمن هم بقربي ، والمروِّض منهم بالطبع . . .

زم خالد شفتيه ، وارتفعت يده تهرش مؤخرة رأسه ، فيما بدا أنه غير موافق على الرأي ، بل يفكر بتغيير الخطة ، فقال :

ـ إن الرجل ، بشهادة جميع الحاضرين ، يجلس يلاعب الأفاعي ، ولم يتحرك من مكانه . . . فكيف توجه الاتهام إليه ؟ . . .

قبل أن يتابع خالد كلامه ، كان وليد يضحك من جديد وينفخ

صدره عالياً مزهواً بنفسه وقال :

- لا يهم كيف ؟ . . المهم أن ألقي عليه التهمة فأتأكد من حقيقة أمره من خلال رد فعله . . .

سألاه كيف ؟ . . .

لم يدعهما يتمان بقية السؤال، فقد ابتعد نحو الحلبة التي اكتظ حولها المشاهدون واندس بينهم . . . ولكن هيكله الضخم وقميصه الأحمر اللون، ساعداهما على اقتفاء أثره . . .

* * *



هندي مزيف

اندس كل من عصام وخالد بين الجمهور الكبير يتبعان خطوات وليد ، فقال خالد بغيظ :

- هذا المتهور . . . قد يقع في مشاكل بسبب هذا التصرف الطائش ؟ . . .

سأله عصام ، وعيناه تلاحقان تحركات وليد الذي اختار مكانه بين رجلين يقفان خلف المروِّض مباشرة . . .

- أية مشاكل سيتعرض لها وليد ؟ . . . سيدَّعي أنه نشل . . . فهل بمقدور أحد إثبات العكس ؟ . . .

كان خالد ينظر جهة وليد هو الآخر ، فلم يجب عصاماً على سؤاله ، بل ضغط على ساعده بقوة وهمس :

- عصام . . . هل رأيت هذا الرجل ؟ . . . لقد تذكرت . . . يا إلهي . . . إنه عبد الجواد على ما أظن . . . هو بعينه . . .

توقف عصام عن المسير ، والتفت إلى خالد مستفسراً ؛ فقال :

- عبد الجواد ؟ ومن هو عبد الجواد هذا ؟ . . .

أجابه خالد باهتمام :

- يا لذاكرتك ؟ . . . ألا تتذكر عصابة حمّاد ؟؟ . . . أم أنك نسيت ؟؟ . . .

أمعن عصام النظر إلى حيث أشار خالد سابقاً ، وشهق بدهشة وتمتم :

- يا إلهي . . . وهل عاد رجال عصابته للظهور من جديد ؟ . . ألا يخشون عيون رجال المباحث المنتشرة في كل مكان ؟؟ . . .

أجابه خالد بثقة :

- لهذا تنكر أحدهم على صورة هذا الهندي . . . هل يدور في خلدك ، لو كنت من رجال المباحث ، أن هذا الهندي هو أحد أفراد عصابة خطيرة مطلوب من العدالة ؟ هل تفكر أن يحضر من انتشرت صوره في كل مكان إلى مناسبة كهذه يحتشد فيها الناس من كل حدب وصوب ؟ . . .

قال عصام :

- إذن . . . كل تفكير وليد كان سليماً ؟ . . .

أجابه خالد موافقاً ، وعلى الفور :

- بل رائعاً . . . يجب أن نتحرك الآن ، وبسرعة ، فقد ألهب تصرف وليد الموقف . . .

وقبل أن يسأل عصام عن معنى عبارة خالد ، كان صوت وليد القوي

يجلجل في أرجاء المكان :

- يا بوليس . . . يا بوليس . . .

جال خالد ببصره مكتسحاً الوجوه ليدرس على قسماتها تأثير هذا النداء وهذه الاستغاثة ، وعن بعد لمح رأس أحدهم يحاول التهرب من نظرات الآخرين إليه ، وإن أظهرت نظراته الخوف الذي أحس به . . . فسرعان ما خفض رأسه . . . لم يتردد خالد لحظة ، بل هتف بعصام ، بينما كان يمسك بيد من حديد بطوق فينو :

- عصام . . أسرع ، فقد اكتشفت مكان أحدهم . .

وانطلق بسرعة يدفع الناس ليدور حول الجمهور المتزايد ، خصوصاً بعد سماع استغاثة وليد . . . حضر اثنان من رجال المباحث بزي مدني ، وسأل أحدهما صاحب الاستغاثة بقوله :

- ماذا جرى ؟ . . . لماذا هذا الصراخ ؟ . .

تحسس وليد جيوبه وقال بلهجة حزينة ، يغالب معها البكاء :

- نشلني . . نشلوا الدراهم من جيبي . . .

نظر رجل المباحث في الوجوه المحيطة بوليد ، بشك وريبة ، فيما كان وليد ينظر باهتمام إلى مروض الحيات وكأنه يتهمه ، فيما استمر الهندي يمارس ألعابه دون اكتراث لما يجري ، وقد أولى ظهره لرجال المباحث ، . . . فقد كان تصرفه وبرودة أعصابه تدعمان الشك لدى وليد بزيف الرجل . . . لذلك قال يرد على سؤال رجل المباحث :

- لا أعرف من كان إلى جواري . . . غير أني انسجمت مع رقص

الأفعى الرائع ولم انتبه إلا على ذراع أسمر اللون يمرق من تحت أنفي . . .

سأله باستغراب :

ـ ذراع أسمر . . . أوضح يا بني . . .

قال رجل المباحث هذا وقد شمر عن ذراعه ليقول من جديد :

ـ هل اعتبر أسمر اللون ؟ . . . هل كان في مثل لون ذراعي ؟ . . تكلم . . .

أجابه وليد على الفور ، وهو يبحث عن اللون المطلوب :

ـ لا بل أشد سمرة . . . مثل . . . مثل . .

تظاهر وليد بالبحث عنه ولكنه قرر بسرعة . . .

ـ مثل هذا . . . لونه مثل لون هذا الهندي . . .

كان المروِّض جالساً على الأرض ، لا يفصله عن وليد ورجل المباحث سوى أحد الوقوف . . . تقدم رجل المباحث من المروِّض ، ودفعه من كتفه وهو يقول :

ـ يا حضرة . . .

قبل أن يتم كلامه ، كانت الأحداث تتوالى بسرعة مذهلة . . . هب الهندي من مكانه واندفع يعدو بكل قوته مخترقاً الجمع المحيط به ، والذي أخذ يتدافع خوفاً من الأفاعي التي تركها مروضها ، . . استولى الذعر على الجميع فيما كان رجلا المباحث يطاردان المروّض الهارب . . .

لم يبتعد كثيراً ، فما حصل بعد لحظة سمّر أقدامه في مكانها ، فوقف مشدوهاً ينتظر ما سيحدث له . . . فقد لمح كلباً ضخم الجثة ، من بين أقدام الجمهور الحاشد ، كالصاعقة مسرعاً خلف الهندي المذعور . . . فانقض عليه فلم يدر كيف انطرح أرضاً لا حول له ولا قوة . . . فقد كانت قفزة رائعة من فينو شلت قدرته على الحركة . . .

في الجانب الآخر كان عصام يقوم بدوره ، . . فقد كان تصرفه ذكياً دون شك ، فصرخ وقد أمسك بأحد الرجال قائلاً :

ـ أمسكوه . . . إنه عبد الجواد . . . المجرم عبد الجواد . . .

كان لعبارة عصام هذه فعل السحر . . . فقد هجم رجل المباحث الآخر وانقض على ذراع عبد الجواد وأمسكها بقوة مذهلة لم يستطع معها حراكاً . . . فأسقط في يده واستسلم للمصير الذي ينتظره . . .

أما خالد ، فقد اضطر أن يتبع فينو قبل أن يجهز على الهندي المزيف . . . فقد وصل في الوقت المناسب ، يلهث إعياءً ، فوجد الهندي ملقى على ظهره وقد رفع يديه ورجليه اتقاء هجمة فينو الشرسة ، وقد تقطعت أنفاسه هلعاً . . . ولما التقى نظراهما تأكد خالد من صحة ظنونه . . . إنه حمّاد الداهية . . . هو نفسه المجرم الخطير الهارب من وجه العدالة . . .

وصل خلفه رجل المباحث ليسمع خالداً يقول بفرح :

ـ إنه حمّاد . . . المجرم الداهية . . .

بسرعة البرق ، وثقة رجل الأمن الساهر على حفظ أرواح الناس ، أطبق رجل المباحث على المجرم ، ووضع القيد في يديه المشدودتين الى الخلف وقال بفرح :

ـ أخيراً وقعت يا حمّاد . . . سر أمامي . . . وإياك محاولة الهرب . . . لن أتجشم عناء مطاردتك ، بل هذا . . . وأشار إلى فينو الذي واكبه لينضم إلى زميله الذي قبض على عبد الجواد . . . غمرهم شعور بالفرح الغامر وهم يقتادون رئيس العصابة وأحد أفرادها ، لكن فرحتهم بالنصر الكبير تحولت إلى تحفز جديد عندما قال خالد :

ـ بقي ربيع طليقاً . . . لنسرع في البحث عنه واعتقاله . . . سيرشدنا فينو إلى مكان وجوده . . .

هز عصام رأسه بالنفي وقال :

ـ أشك في ذلك . . . فقد اختلطت رائحة جسد ربيع بروائح مئات الرجال المتواجدين هنا . . . وهذا يجعل من المتعذر عملية تعقبها بنجاح . . .

لكن ما شاهدوه أمامهم وفر عليهم حتى عناء البحث في هذا الموضوع ، فقد ظهر المفتش أمامهم شاهراً مسدسه ، يقود أمامه المجرم الثالث (ربيع) رافعاً يديه فوق رأسه، وقد أخفضهما القيد الحديدي من أحد رجال المباحث وسط دهشة الجميع وذهولهم . . .

هللوا فرحاً بقدوم المفتش الذي انضم اليهم يشاركهم فرحتهم

بالقضاء على نشاط عصابة خطيرة يهرب أفرادها من وجه العدالة منذ أمد بعيد . . . نظر المفتش باعتزاز وفخر ناحية المغامرين وقال مهنئاً :

ـ عمل رائع أيها الأولاد . . . إنكم تستحقون اللقب عن جدارة . . .

ثم تابع حديثه وهو ينظر إلى حمّاد نظرة ازدراء وتشفٍ قائلاً :

ـ محاولة خسيسة للقتل الجماعي . . . هيه . . . سترتفع درجة الحكم عليكم جزاء ما اقترفت أيديكم . . . ألا تذكر القول الخالد :

« وما يد إلا يد الله فوقها » . . . خذوهم . .

* * *

تمت

الحلقة القادمة

المجوهرات العائمة

أراد « النمر » أن يكون خطيباً للسيدة سعاد قبل أن تتعرف على المفتش جميل ، فأصبح بدل ذلك مجرماً خطيراً .

في الحلقة القادمة يطلع المغامرون على أسرار يعرفونها لأول مرة ، فيندفعون في مغامرة مثيرة . ويواجهون أموراً لا تخطر على بال إنسان ، ولكنهم ينجحون كعادتهم في التغلب عليها ، واكتشاف أسرارها .

لن نسترسل في الحديث عن الحلقة المثيرة ، دعونا نعشها معاً ، فنستمتع بمفاجآتها .

فإلى اللقاء

في حلقة جديدة .

رقم : 82 - 63/18

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا – في الغالب – العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب ، فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضَّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .

صدر من : « المغامرون الاذكياء » :


ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net